الدكتور
سلمان زكرياء
المغرب

معاني حروف الجر وأثرها في التفسير

دراسة نحوية دلالية





٢٠١٩

معاني حروف الجر وأثرها في التفسير:
دراسة نحوية دلالية

الدكتور

سلمان زكرياء

المغرب

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

إربد- الأردن

2019

الكتاب

معاني حروف الجر وأثرها في التفسير

تأليف

سلمان زكرياء

الطبعة

الأولى، 2019

عدد الصفحات: 212

القياس: 17×24

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2018/4/2021)

ISBN 978-9957-686-34-5

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (27272272- 00962)

خلوي: 0785459343

فاكس: 27269909- 00962

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com
facebook.com/modernworldbook

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 5264363/ 079

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 471357 1 00961

فاكس: 475905 1 00961

إهداء

إلى التي

حملتني كرها

و

وضعتني كرها

إلى

أمي - رحمها الله -

فهرس المحتويات



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد عني المسلمون بكتاب الله عناية بالغة، فكان محلَّ اهتمامهم ومنطلق تفكيرهم وغاية علومهم، فجاءت جهودهم متكاملة متظافرة للكشف عن أسرار معانيه ودلائل إعجازه وبدائع نظمه، في طرائق متنوعة ومناهج متعددة.

وكانت هذه العناية دافعا لنشأة علوم العربية ومنها علم النحو الذي أقر كثير من العلماء أن السبب الحقيقي لنشأته هو فهم القرآن الكريم، ودراسة أساليب نظمه.

وأجمع المفسرون أن الدراية بعلوم اللغة و في مقدمتها النحو من أهم الشروط التي يجب أن يُلمَّ بها المفسر، قال السيوطي في الإتقان "وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عدّة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان، إما حقيقة أو مجازا، فتأويله تعطيله"[1].

ولا يخفى أن معرفة معاني الحروف جزء أساس في علم النحو، وهي من صلبه وصميمه، فكانت من ثمة ضرورية لكل متعرض لفهم كتاب الله تفسيرا وإعرابا وكشفا لوجوه البلاغة والبيان، قال الزركشي "والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها"[2].

وإن الناظر في كتب التفسير ليجد توجيه معاني الحروف متعددا بين مفسر وآخر، إلى درجة التباين أحيانا، مما أدى إلى الاختلاف في كثير من الآيات القرآنية. فكان الوقوف على هذه التوجيهات ومعرفة التعليلات التي قدمها المعربون والقرائن التي سيقت لتلك الأوجه،

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ج 6 ص 2276

(2) البرهان في علوم القرآن ج 4 ص 175

دافعا لي للولوج إلى كتب التفسير، لتلمس مقدار استفادة المفسرين من علم النحو فكان هذا البحث:

معاني حروف الجر وأثرها في التفسير: دراسة نحوية دلالية

وقد دفعني إليه فضلا على ما ذكر حرصي على اللغة العربية، ورغبتي في الوقوف على أسرارها من خلال مباحث حروف المعاني عند المفسرين خاصة، "لأن الكتب التي تفردت بالبحث في دراسة حروف المعاني هي محض دراسات نحوية لا تكشف عن أسرار هذه المعاني في مواقعها من سياقها، ولا تبحث عن الدواعي التي من أجلها تفارق مواضعها"[1].

لهذه الأسباب و غيرها رأيت أن هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة، وقد تناولته لمحاولة الوصول إلى الأهداف التالية:

1- خدمة كتاب الله وإظهار بعض من أسرار إعجازه.

2- خدمة لغة القرآن و إبراز مكانة قواعدها، وخاصة المباحث النحوية في جانبها الوظيفي التطبيقي في القرآن الكريم، مما يحتم على المشتغل بدلالة النصوص الشرعية واستنباط الأحكام الاعتقادية والتشريعية[2]، أن يكون ذا علم بسنن كلام العرب ودقائق علم النحو.

3- بيان الأثر المترتب على تعدد معاني حروف الجر عند احتمال الآية لأكثر من معنى ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات، وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم[3].

---

(1) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم لمحمد الخضري ص 4

(2) سيجد المطلع على البحث الكثير من القضايا العقدية المتنازع بشأنها، والتي كان لحروف المعاني دخل في نشوبها، في حين لم يتطرق البحث للخلافات الفقهية في ثناياه؛ والسبب راجع إلى كون سورة الأعراف مكية ولم ترد بها آيات أحكام من عبادات ومعاملات وغيرها، مع العلم أن لحروف المعاني أثرا كبيرا في اختلاف الفقهاء، وخير مثال يشهد لذلك آية الوضوء والخلاف في معنى الباء في قوله تعالى : (برؤوسكم) (المائدة 6)

(3) محمود شاكر في تقديمه لكتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم لعبد الخالق عضيمة ج 1 ص دَ

4- الوقوف على مساهمة المفسرين في النحو العربي وخدماتهم الجليلة في الدفع به نحو النضج.

5- جمع ما هو متفرق ومتناثر في كتب التفسير ومعاني القرآن من أسرار بلاغية رفيعة بغرض تقريبها للناس و إفادة الدارسين لعلوم القرآن والعربية.

6- بيان أسباب اختلاف المفسرين في تحديد معاني الحروف و ضوابطهم في الترجيح.

7- الوقوف على الرأي الأصوب أو المذهب الأرجح بين المذاهب التي تختلف في قضية من القضايا التي لها ارتباط بحروف المعاني.

ولأهمية مباحث الحروف وأثرها في فهم القرآن ألف بعض العلماء المتقدمين حولها وحاولوا عدم الاقتصار على الدراسات النحوية النظرية[1]، بل تطرقوا إلى دلالتها في آي الذكر الحكيم ونجد من هؤلاء: أبا جعفر أحمد بن رستم الطبري (ت بعد 304هـ) في رسالة "كلا في الكلام والقرآن"، وشهاب الدين أحمد القرافي (684هـ) بكتابه "الاستغناء في الاستثناء" وكذا صلاح الدين بن كيكَلْدي العلائي (761هـ) في كتابه "الفصول المفيدة في الواو المزيدة" وغيرهم.

هذا عن الجهود المتقدمة، أما المعاصرة فلقد وقفت على عدد من البحوث العلمية منها: كتاب "الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين" وكتاب "نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً" وكلاهما لهادي عطية مطر الهلالي، وكتاب "من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم لمحمد الأمين الخضرى"، ورسالة "حروف الجر وأثرها في الدلالات" لمحمد الناغوري وغيرها. إلا أن الدراسة التطبيقية في هذه الكتب همت القرآن كله ولم تخصص سورا بعينها مما جعل بعضها يكاد يكرر ما ذكر في كتب سبقته. ولعل أقرب هذه الدراسات الحديثة إلى موضوع بحثنا هي رسالة: "أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية على سورتي آل عمران والنساء" لعلي الجهني، حيث خصصت جانبها التطبيقي لسورتين من القرآن وحاولت الإحاطة بكل ما تتيحه آياتها من

---

[1] أثبت أهم المؤلفات التي اهتمت بالجانب النحوي النظري لحروف المعاني في هذا القسم النظري

دلالات ومعان، غير أنها نحت غير منحى بحثنا؛ حيث لم تتطرق لكثير من ضوابط الترجيح التي تحددت بجلاء في ثنايا هذه الدراسة.

ولقد اخترت التركيز على الحروف الجارة "بسبب كثرة عددها وكثرة وقوعها في الكلام"[1] ولدوران أحكام عديدة في فلكها، ولعديد القضايا التي تهم هذه الحروف كالتضمين والتعلق والزيادة وغيرها، وهي من أكثر ما سيعتمد في بيان المفسرين لدلالة الآيات، وهذا هو محور دراستنا.

ومن ثمة أفردتها مستقلة عن باقي الحروف العاملة، وذلك بعدما توسعتُ في رسالة الماستر (أصل هذا الكتاب) حيث درستُ الحروف العاملة برمتها، وهي المؤثرة تأثيرا إعرابيا مباشرا فيما بعدها، مستثنيا حروف العطف والاستثناء والنداء التي عدّها بعض النحاة عاملة؛ ذلك أن الأثر الإعرابي المترتب عليها فيما بعدها يكون بصورة غير مباشرة؛ ولذا عالجها أغلب النحاة ضمن الحروف غير العاملة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: التعريف بالموضوع وإشكالاته وأهميته والدوافع التي حفزتني للاشتغال عليه ثم الأهداف المرجوة منه، كما أشرت إلى بعض المؤلفات السابقة التي جمعت بين الدراسة النظرية والتطبيقية على آي القرآن وأهم مصادري المعتمدة.

اختص التمهيد بتعريف الحرف على وجه العموم وفيه بينت تقسيم الكلام وحدَّ الحرف لغة واصطلاحا وسبب تسميته، ثم تناولت خلاف النحاة في إعمال بعض الحروف وإهمالها، وبعدها عرجت على نظرية العامل وتقسيمات الحروف وعدتها، ثم ذكرتُ مصنفات حروف المعاني العامة والمختصة قديما وحديثا. ثم انتقلت إلى تعريف حروف الجر على وجه الخصوص وبيان عددها ووظائفها النحوية والدلالية وختمت التمهيد بذكر مسألة التضمين والنيابة والخلاف حولها. في حين تناول الباب الأول حروف الجر الأحادية ومعانيها في سورة الأعراف وقسمته إلى فصول ثلاثة الفصل الأول: حرف "الباء" والفصل الثاني:

---

(1) شرح عوامل الجرجاني المائة للأزهري ص 89

حرف "اللام" والفصل الثالث تضمن حرفين الكاف والواو. وانعقد الباب الثاني لحروف الجر الثنائية وشمل فصل "من" وفصل "عن" وفصل "في". واختص الباب الثالث بحروف الجر الثلاثية وشمل فصل "على" وفصل "إلى".

وفي الخاتمة سجلت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أما عن منهجي في البحث: فإني أذكر المعاني التي جاء عليها الحرف حسب ترتيب ابن هشام لها في مغني اللبيب - غالبا - على أن أستشهد تحت كل معنى ببعض الآيات المتفق عليها بين المفسرين من سورة الأعراف مع تقديم المعنى العام للآية، والتركيز على دلالة الحرف فيها.

ثم أثني بذكر الآيات التي اختلفت فيها توجيهات المفسرين سواء ما تعلق بمعنى الحرف أو متعلقه أو أصالته وغيرها من الأحكام المتنازع عليها، مع بيان أرجح الأقوال وأولاها بالصواب اعتمادا على مختلف القرائن والمرجحات، وقد أوردت الآيات المستشهد بها في الخلاف حسب ترتيبها في السورة. أما المعاني التي لم ترد آيات تناسبها في سورة الأعراف فإني أكتفي بالإشارة إليها في بداية المبحث.

أما عن المصادر التي أفدت منها في بحثي فهي قسمان: قسم اعتمدته في الشق النظري من البحث وأهمها الكتب النحوية الأمهات ككتاب سيبويه وشرح المفصل لابن يعيش وشروح الألفية، وقسم اعتمدته في الدراسة التطبيقية، وهي كتب معاني القرآن وإعرابه ككتاب معاني القرآن للفراء والدر المصون للسمين الحلبي، وكتب معاني الحروف كمغني اللبيب لابن هشام والجنى الداني للمرادي، وكتب التفسير سواء القديمة منها كتفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أم المتأخرة كتفسير روح المعاني للألوسي والتحرير والتنوير لابن عاشور.

وختاما أقول: لقد جرت عادة البحوث الجامعية أن تعرض ما واجهت من صعوبات شتى في مسيرتها، وإني لأتنكب عن هذه العادة، لا لأني لم أكابد الذي كابدته بل بالعكس، وحسبنا لنعرف قدر المشقة في الاشتغال على الحروف في القرآن ما قاله محمود شاكر في تصديره لكتاب عبد الخالق عضيمة "وحروف المعاني التي يتناولها هذا القسم من

جمهرة علم القرآن العظيم، أصعب أبواب هذه الجمهرة، لكثرتها وتداخل معانيها. فقلَّ أن تخلو آية من القرآن العظيم من حرف من حروف المعاني. أما المشقة العظيمة، فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل، ثم اختلاف معانيها باختلاف مواقعها[1] لكني أقول - تحدثا بنعمة الله - لقد عاينت أثناء اشتغالي على الموضوع التوفيق الإلاهي متمثلا في البركة في الوقت وحلاوة فيما كنت بصدده، وكيف لا وهذا العمل وإن كان جهد المقل فهو يشرُف بخدمة كتاب الله ويسعى إلى إيضاح كلامه عز وجل. نسأل الله القبول والإخلاص فيه، والحمد لله أولا وآخرا. ومما هون علي أيضا تعب البحث ومشقته ما غمرني به أستاذي الفاضل المشرف الدكتور مولاي المصطفى أبو حازم من فيض علمه، وكريم نصحه، وسعة صدره، وبذله لوقته وكتبه، ومتابعته الدقيقة لكل كلمة من كلمات هذا البحث حتى تمَّ واكتمل. وأراني عاجزا في هذا المقام عن شكره، أو إيفائه بعض حقه. فأسأل الله الشكور أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يمد في عمره على حسن عمل وطاعة. كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى لجنة المناقشة وأعني بذلك العلامة المدقق والأب المشفق الحنون، محمد حيلو أستاذي ومشرفي على بحث الدكتوراه فجزاه الله خيرا، والعلامة الأديب اللغوي المفوه، عبد القادر حمدي، فجزاه الله خيرا، كما أثني ثناء حارا على أساتذة قسم اللغة العربية بكلية الآداب بدون استثناء. وأخص منهم الفاضل الشهم والعلامة المتواضع النصوح الدكتور عبد الحميد زاهيد، صاحب الأيادي البيضاء علي في مسيرتي العلمية، فبارك الله في علمه وعمره.

هذا ولا أنسى شكر والدِي الكريم ألبسه الله لبوس الصحة والعافية، وأترحم على أمي رحمة واسعة وأهدي لها ثواب هذا العمل، كما أشكر زوجي -وفقها الله- على ما قدمت وانتظرت فقد كانت شريكة لي في الجهد بكل صبر واصطبار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلىّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) محمود شاكر في تقديمه لكتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم لعبد الخالق عضيمة ج 1 ص ذ

القسم النظري

أولا: نظرة عامة عن الحروف

1- تعريف الحرف

أ- تقسيم الكلام

عرف ابن مالك الكلام بأنه "ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته"[1]، ووضح ابن الحاجب صوره فقال "ولا يتأتى ذلك إلا في اسمين، أو في فعل واسم"[2] وبيّن الرضي الغرض من تحديده عند النحويين كون "المقصود الأهم من علم النحو هو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب"[3].

وقسم النحاة الكلام إلى أقسام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، و هذا ما أورده إمام العربية سيبويه (180هـ) في مستهل الكتاب في باب "هذا باب علم ما الكلم من العربية"[4].

ومن النحاة الذين أكدوا هذا التقسيم وجعلوه ثابتا : المبرد[5](285 هـ) وابن السراج[6] (316هـ) والزجاجي[7] (340هـ) والفارسي[8](377هـ) وابن جني[9] (392هـ)

---

(1) شرح التسهيل لابن مالك ج1 ص 5

(2) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ج1 ص 31

(3) نفسه

(4) قال في الكتاب ج 1 ص 12 "فالكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"

(5) يقول في المقتضب ج 1 ص 141 "فالكلام كله : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى.لا يخلو الكلام عربيا أو عجميا من هذه الثلاثة

(6) قال في الأصول ج 1 ص 36 "الكلام : يتألف من ثلاثة أشياء : اسم وفعل و حرف"

(7) يقول في الإيضاح في علل النحو ص 41 "فأول ما نذكر من ذلك إجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل و حرف وحقق القول بذلك وسطره في كتابه سيبويه , والناس بعده غير منكرين عليه ذلك"

(8) قال في الإيضاح ص 71 "والكلام يتألف من ثلاثة أشياء :اسم وفعل وحرف"

(9) قال في اللمع ص 15 "الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"

والأنباري[1] (577هـ) وابن الحاجب[2] (646هـ) وابن مالك[3] (672هـ) والسيوطي[4] (911هـ) وغيرهم كثير.

وحجة الجميع في هذا التحديد هو ما يوضحه ابن هشام (761هـ) بقوله "والدليل على انحصار أنواعها في هذه الثلاثة الاستقراء فإن علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع ولو كان ثم نوع رابع لعثروا على شيء منه"[5].

وقال الشاطبي (790 هـ) في شرحه لبيت ابن مالك (672هـ) من الألفية

كلامنا لفظ مفيد كاستقم   واسم وفعل ثم حرف الكلم

"يعني أن الكلم ثلاثة أنواع: اسم وفعل وحرف، لا زائد على هذه الثلاثة، والدليل القاطع في المسألة الإجماع والاستقراء"[6].

غير أن كتب النحو سجلت لنا بعض المحاولات الساعية إلى كسر طوق الإجماع الثلاثي للنحاة ومن هؤلاء قديما: أبو جعفر ابن صابر[7] الذي ذكره السيوطي (911هـ) عند حديثه عن أسماء الأفعال فقال: "وزعمها ابن صابر قسما رابعا زائدا عن أقسام الكلمة الثلاثة سماه الخالفة"[8] وذكره الشاطبي في شرحه للألفية دون أن يسميه قال "على أن بعضهم

---

(1) يقول في أسرار العربية ص 23 فإن قيل : لم قلتم إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها ؟ قيل : لأنا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع ما يخطر بالبال , ويتوهم في الخيال. ولو كان هاهنا قسم رابع لبقي في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه.. فلما عبر بهذه الأقسام عن جميع الأشياء دل على أنه ليس إلا هذه الأقسام الثلاثة "

(2) قال في الكافية ج1 ص 27 في أقسام الكلمة " هي اسم وفعل وحرف"

(3) قال في شرح التسهيل ج1 ص3 "الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا ، أو منوي معه كذلك و هي اسم وفعل وحرف"

(4) قال في همع الهوامع ج1 ص22 "الكلمة إما اسم , وإما فعل , وإما حرف و لا رابع لها"

(5) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص 39

(6) المقاصد الشافية شرح (ألفية ابن مالك) للشاطبي ج 1 ص 38

(7) قال السيوطي في بغية الوعاة : أحمد بن صابر أبو جعفر النحوي الذاهب إلى أن للكلمة قسما رابعا وسماه الخالفة ج1 ص 311

(8) همع الهوامع للسيوطي ج 3 ص 82

قد زاد نوعا رابعا وسماه الخالفة، وعنى بذلك أسماء الأفعال، كأنها عند هذا القائل ليست بداخلة تحت واحد من الثلاثة، وذلك قول غير صحيح لقيام الإجماع قبله على خلاف قوله إذ هو فيما أحسب متأخر جدا عن أهل الاجتهاد المعتبرين من النحويين"[1].

ومن المعاصرين المعارضين بشدة للقسمة الثلاثية للكلام نجد تمام حسان الذي يعد من أوائل من تعرض بالنقد لصنيع النحاة رابطا ذلك بالمنهج الوصفي الحديث حيث قال "من هنا يتضح أن الأقسام السبعة التي ارتضيناها للكلم موضحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كما يأتي:

(1- الاسم 2- الصفة 3- الفعل 4- الضمير 5- الخالفة 6- الظرف 7- الأداة)"[2].

ودون الخوض في مناقشة من شذوا عن هذا التقسيم قديما وحديثا، يمكن القول إن هذه الآراء لا يمكن لها أن تجد الأساس القوي الذي يمكن أن تستمد منه مقومات وجودها واستمرارها أمام النقد العلمي الصحيح. وقد رد ابن تيمية (728هـ) على المعترضين على التقسيم الثلاثي للكلام بقوله: "وجاء الجزولي[3] وغيره، فاعترضوا على النحاة في هذا ولم يفهموا كلامهم، ... وأرادوا بذلك الاعتراض على قول الزجاج: الكلام اسم وفعل وحرف. والذي ذكره الزجاج هو الذي ذكره سيبويه وسائر أئمة النحاة"[4].

وبهذا الإجماع الحاصل عن هذه القسمة الثلاثية "حافظ النحاة على مسار النحو وضبطوا منهجه التصنيفي وكان منطلقهم في ذلك استقرائيا سار فيه البحث من الجزء إلى الكل ليفضي إلى تقسيمات كبرى لها أجزاؤها وفروعها"[5].

---

(1) المقاصد الشافية شرح ألفية ابن مالك للشاطبي ج 1 ص 40

(2) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان ص 90

(3) هو عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلي البربري المراكشي، من علماء العربية، ولي خطابة مراكش، من كتبه : [الجزولية] رسالة في النحو توفي سنة 607 هـ) بغية الوعاة ج 2 ص 236

(4) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج12 ص 62

(5) الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة لدليلة مزوز ص 54

ب- تعريف الحرف لغة

يجدر بنا قبل إيراد معاني الحرف في كلام العرب أن نذكر مسألتين:

المسألة الأولى: تتعلق بما يذهب إليه معظم علماء المصطلح من أن "اختيار مصطلح مناسب للتعبير عن مفهوم جديد ما، يتم وفق مبادئ وأسس علمية منظمة، إذ إن الأمر لا يجري اعتباطا، بل لا بد من وجود علاقة مشابهة أو مشاركة بين المعنى اللغوي الذي وضعت الكلمة للدلالة عليه في الأصل وبين المعنى الاصطلاحي الذي يراد تحميله لهذه الكلمة"[1]، وهذا يؤكد أهمية التأصيل اللغوي للكلمة المصطلح لكونه يعد مفتاحا مهما لتصور الدلالة الاصطلاحية الحادثة.

وهذا ما سيتجلى في بيان العلماء سبب إطلاق مصطلح الحرف على هذا القسم من الكلام الذي سنورده بعد عرض التعريفين اللغوي والاصطلاحي للحرف.

المسألة الثانية: التنبيه على غلط من يخلط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي عند حمله كلاما ما على أحد المعنيين دون التمييز بين المراد في ذلك الموضع. وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك بقوله "ومن أعظم الغلط في فهم كلام الله ورسوله، أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح و يحمله على تلك اللغة التي اعتادها"[2].

وسنمثل لذلك في آخر مناقشة كلام النحاة حول مدلول الحرف، مبينين دقة سيبويه والمحققين من العلماء في اختيار تعريف الحرف والغلط الذي وقع فيه بعضهم.

يطالعنا معجم مقاييس اللغة أن للحرف أصولا ثلاثة، قال ابن فارس (395هـ): الحاء و الراء والفاء ثلاثة أصول: حدُّ الشيء، والعُدول، وتقدير الشَّيء.

1- فأمّا الحدّ: فحرْفُ كلِّ شيء حدُّه، كالسيف وغيره. ومنه الحَرْف، وهو الوجْه. تقول: هو مِن أمرِه على حَرْفٍ واحد، أي طريقة واحدة. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

---

[1] الخلاف النحوي في الأدوات لعامر بلحاف ص 8

[2] مجموع الفتاوى لابن تيمية ج 12 ص 61

﴿يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[1]. أي على وجه واحد. وذلك أنّ العبد يجبُ عليه طاعةُ ربِّه تعالى عند السرّاء والضرّاء، فإذا أطاعَه عند السّرّاء وعَصاه عند الضرّاء فقد عَبَدَه على حرفٍ. الا تراه قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾[2]. ويقال للناقةِ حَرْفٌ. قال قوم: هي الضامر، شبِّهت بحرف السَّيف. وقال آخرون: بل هي الضَّخْمة، شبِّهت بحرف الجبل، وهو جانبُه.

2- الأصل الثاني: الانحراف عن الشّيء. يقال انحَرَفَ عنه يَنحرِف انحرافاً. حرّفتُه أنا عنه، أي عدَلتُ به عنه. ولذلك يقال مُحَارَفٌ، وذلك إذا حُورِف كَسْبُه فمِيلَ به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عَدْلُه عن جِهته. قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[3].

3- والأصل الثالث: المِحراف، حديدة يقدَّر بها الجِراحات عند العِلاج.

وزعم ناسٌ أنّ المُحارَفَ من هذا، كأنّه قُدِّر عليه رزقُه كما تقدَّر الجِراحةُ بالمِحْراف ومن هذا الباب فلان يَحْرُف لِعياله، أي يكسِب. وأجْوَدُ مِن هذا أن يقال فيه إنّ الفاءَ مبدلةٌ من ثاء. وهو من حَرَثَ أي كَسَبَ وجَمَعَ. وربما قالوا أحْرَفَ فلانٌ إحرافاً، إذا نَما مالُه وَصَلُح. وفلان حَرِيفُ فلانٍ أي مُعامِلُه وكل ذلك من حَرَفَ واحترف أي كسَب. والأصلُ ما ذكرناه[4].

وزاد الفيروز آبادي (817هـ) معاني أخرى منها[5]: (الطَّرَفُ، والشَفيرُ ومَسيلُ الماءِ، وآرامٌ سودٌ ببلادِ سُلَيْمٍ).

---

(1) الحج الآية 11

(2) الحج الآية 11.

(3) النساء الآية 46 ، المائدة الآية 13

(4) مقاييس اللغة لابن فارس ج2 ص 42

(5) القاموس المحيط للفيروز ابادي ص 799

وأضاف المعجم الوسيط[1] (الحرف الكلمة يقال: هذا الحرف ليس في لسان العرب).

ج- الحرف في اصطلاح النحاة

ذكر ابن منظور (711هـ) في مستهل شرحه اللغوي للحرف بعض معانيه الاصطلاحية وهي:

أ- الحَرْفُ من حُروف الهِجاء: معروف، واحدُ حروف التهجي.

ب- والحَرْفُ الأَداة التي تسمى الرابِطةَ لأَنها تَرْبِطُ الاسمَ بالاسم والفعلَ بالفعل كـ "عن" و"على" ونحوهما.

ج- وكلُّ كلمة تقرأُ على الوجوه من القرآن تسمى حَرْفاً، تقول: هذا في حَرْف ابن مسعود أَي في قراءة ابن مسعود.

د- والحَرْفُ القِراءة التي تقرأُ على أَوجُه، وما جاء في الحديث من قوله، عليه السلام: "نزل القرآن على سبعة أَحْرُف كلُّها شافٍ كافٍ"[2]، أَراد بالحرْفِ اللُّغَةَ[3].

وقد أشار تعريف ابن منظور للحرف في مدلوليه الأولين إلى ما يُجمع عليه جمهور النحاة من أن الحرف على ضربين، الضرب الأول: حروف المباني والضرب الثاني: حروف المعاني.

أما الحروف عند الزجاجي فهي على ثلاثة أضرب يقول "الحروف على ثلاثة أضرب:

- حروف المعجم التي هي أصل مدار الألسن عربيها وعجميها وحروف الأسماء والأفعال

---

(1) المعجم الوسيط لجمع من الأساتذة ص 167

(2) الحديث متفق عليه دون زيادة "شاف كاف" رواه البخاري في كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ برقم 4635 و مسلم في كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ برقم 1363 , و أما زيادة "كاف شاف" فهي صحيحة (صحيح سنن أبي داوود برقم 1477)

(3) لسان العرب لابن منظور ج 2 ص 837

- والحروف التي هي أبعاضها نحو العين من جعفر والضاد من ضرب وما أشبه ذلك، ونحو النون من أن واللام من لم وما أشبه ذلك.
- وحروف المعاني التي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان[1].

أما ما يلتمسه النحويون في دراستهم فهو حروف المعاني لا غير. لذا سنحاول أن نعرض أهم التعريفات التي قدِّمتْ، لتحديد معنى الحرف حسب ترتيبها الزمني، لنطلع على التطور الذي حدث على مر الفترات الزمنية لهذا المصطلح بغية إيجاد حد مانع يُلِمُّ بجميع أنواع الحروف داخله ويخرج ما عداها مما يمكن أن يلتقي معها في جزئية من جزئيات الاختصاص[2].

وقبل عرض التعاريف المحددة للحرف نورد كلاما نفيسا للمرادي يوضح أهمية ضبط حد الحرف والغاية منها فيقول "قال بعض النحويين لا يُحتاج في الحقيقة إلى حد الحرف لأنه كلم محصورة، وليس كما قال. بل هو مما لا بد منه، ولا يستغنى عنه ليرجع عند الإشكال إليه، ويحكم عند الاختلاف بحرفية ما صدق الحد عليه"[3].

ونبدأ بتعريف سيبويه (180هـ) للحرف حيث قال "وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولافعل"[4] وأما المبرد (285هـ) فقد اكتفى في تعريفه للحرف بقوله "وحرف جاء لمعنى"[5] وعرفه أبو القاسم الزجاجي (340هـ) بقوله "والحرف ما دل على معنى في غيره"[6]، وقد عدَّ البطليوسي (521هـ) هذا التعريف غير مانع حيث قال "هذا الحد غير صحيح عند متأمله حتى يزاد فيه (ولم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة) أو يقال كما قال سيبويه: "ما جاء لمعنى وليس بالاسم ولا فعل"، وإنما لم يكن ما قاله أبو القاسم حدا، لأنَّ في الأسماء ما معناه في غيره نحو: أسماء الاستفهام وأسماء المجازاة، لأن هذه الأسماء لما نابت مناب الحروف جرت

(1) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص 54
(2) دور الحرف للصادق خليفة راشد ص 34
(3) الجنى الداني للمرادي ص 20
(4) الكتاب ج 1 ص 12
(5) المقتضب للمبرد ج 1 ص 141
(6) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص 54

مجراها، وكذلك الأسماء الموصولة فإن المعاني المقصودة إنما هي في صلاتها[1]. ولم يكتف البطليوسي بتغليط الزجاجي في حده بل حكم بفساد تعاريف عدة، لكل من الأخفش الأوسط (215هـ) والمبرد والزجاج والأخفش الصغير (315هـ) وابن كيسان (299هـ) وأبي عبد الله الطوال (243هـ) وقد طفق يرد عليها بعدما عرضها وأبان على وجه النقص والقصور فيها. ويختم مناقشته لتلك الحدود بقوله "وإن التَّعجب ليطول من قوم يعتقدون هذه الأشياء حدودا وهم أئمة مشهورون، ولو سمعنا ذلك ولم نره عنهم منصوصا لما صدقناه"[2]. وبعدها يورد البطليوسي تعريفا للفارابي (339هـ) عادًا إياه صحيحا حيث قال "وقال أبو نصر الفارابي في تحديد الحرف. الأداة لفظ يدل على معنى مفرد لا يمكن أن يفهم بنفسه وحده دون أن يقرن باسم أو كلمة. وهذا تحديد صحيح وهو نحو ما قاله سيبويه: إنه جاء لمعنى في غيره ليس باسم ولا فعل. ونحو ما قلناه: إنه مالم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة"[3].

وقال ابن معطي (628هـ) في الدرة الألفية[4]

والحرف لا يفيد معنى إلا　　　في غيره كهل أتى المعلا

وقال أبو حيان (745هـ) الحرف هو قسيم الاسم والفعل: رسم كلمة تدل على معنى في غيرها فقط، فـ (كلمة) جنس يشمل الاسم والفعل والحرف، و(تدل على معنى في غيرها) فصل يخرج به أكثر الأسماء والفعل. و(فقط) يخرج به ما دل على معنى في نفسه، وفي غيره وذلك أسماء الشرط، وأسماء الاستفهام[5]. ورجح المرادي (749هـ) هذا التعريف حيث قال "وقد حد بحدود كثيرة، ومن أحسنها قول بعضهم: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط"[6]. وأما الفاكهي (972هـ) فاختار زيادة (فقط) الواردة في كلام أبي

---

(1) الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ص 84/ 85

(2) المصدر نفسه ص 87

(3) نفسه ص 77

(4) الدرة الألفية لابن معطي ص 18

(5) ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي ص 2368

(6) الجنى الداني للمرادي ص 20

حيان والمرادي، وأكد على أنها قيد ضروري ليسلم حد الحرف و يغدو مانعا وقد شرح ذلك بقوله: "حد الحرف هو (كلمة دلت على معنى) دخل مع المحدود قسيماه[1]، ثم خرج الفعل وبعض الأسماء بقولهم (في غيرها) بسبب انضمام غيرها إليها من اسم كمررت بزيد، أو فعل كقد قام، أو جملة كحروف النفي والاستفهام والشرط.. (فقط) خرج به أسماء الشرط والاستفهام وهذا القيد ذكره الجزولي (607هـ) ولابد منه في الحد، وقد أشار إليه الرضي (688هـ) في شرحه وابن هشام (761هـ) في الجامع بقولهما: والحرف لا يدل على معنى إلا في غيره"[2].

بقي أن نذكر ما نقله ابن هشام عن بعض النحاة من تحديد شاذ لمعنى الحرف حيث قال: "الثاني: دلالة الحرف على معنى في غيره وهذا وإن كان مشهورا عند النحويين إلا أن الشيخ بهاء الدين ابن النحاس (678هـ) نازعهم في – التعليقة – وزعم أنه دال على معنى في نفسه وتابعه المؤلف[3] في شرح التسهيل"[4].

ونشير إلى أنه لا ينبغي أن يفهم من قول النحاة "إن الحرف لا يدل على معنى في نفسه بل لا بد من ضميمة كلمة أخرى أنه مجرد عن المعنى مطلقا، كلا، وإلا صار مهملا كـ "ديز" مقلوب "زيد" الذي لا معنى له لأن العرب لم تضعه، أما حروف المعاني فهي من وضع العرب، وهي تدل على معان معينة، فحرف "في" مثلا هو من وضع العرب ويدل على معنى وهو الظرفية غير أن معناه لا يظهر إلا في التركيب بانضمام كلمة أخرى إليه.

ومن خلال ما تقدم نرى أن كل من تعرض للحرف لم يخرج عن المعنى العام لهذه التعريفات غير أن بعض العلماء كابن مالك (672هـ) في ألفيته والكيشي (695 هـ) في الإرشاد اكتفوا بتعريف الحرف بالعلامة العدمية وهي عدم قبول علامة الأسماء، وعدم قبول علامة الأفعال قال ابن مالك في الألفية:

---

(1) القسيمان : هما الاسم والفعل

(2) شرح الحدود النحوية للفاكهي ص 82

(3) يقصد بالمؤلف : "أبو حيان الأندلسي صاحب اللمحة البدرية"

(4) شرح اللمحة البدرية لابن هشام ص 250

سـواهما الحـرف كهـل وفي ولم فعـل مـضارع يلـي "لم" كيـشم

وقال الكيشي "وقد حُدَّ الحرف بأنه الكلمة التي ليست فيها علامات الأسماء والأفعال نحو لام الجر وبائه وهل وأشباهها، فإن الكلمة لما انحصرت في الثلاث وعرف منها اثنان تعرف الثالث بخلوّهِ عن علامتيهما. فإن قلتَ: لِمَ خُصَّ تعريف الحرف بعدم علامتيهما دون أحديهما؟ قلتُ: لأنه ضعيف الدلالة فإنه لا يدل إلا مع غيره، وهما مستقلا الدلالة فعرِّفا بالتعريف الوجودي لقوتهما، وخصَّ بالتعريف العدمي لضعفه"[1].

ويمثل ابن حمدون (1269هـ) في حاشيته على المكودي (807هـ) لهذه العلامة العدمية المتخذة مقياسا للتفريق والتمييز بين الأشياء بقوله "ونظير ذلك كما قال ابن مالك: ج ح خ فالجيم والخاء علامتهما وجودية كالاسم والفعل، والحاء علامتها عدمية كالحرف ولذا قيل:

والحـرف ماليـست لـه علامـة تـرك العلامـة لـه علامـة"[2]

وبعد هذا العرض لآراء العلماء حول تعريف الحرف، نقول إن تعريف سيبويه هو الحد الدقيق الذي ارتضاه المحققون من النحاة، وقد مر بنا ترجيح البطليوسي هذا التعريف واختياره له، وقد رجحه أيضا ابن فارس (395هـ) بقوله (وقد أكثر أهل العربية في هذا، وأقرب ما فيه ما قاله سيبويه، إنه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل. نحو قولنا: "زيد منطلق" ثم نقول: "هل زيد منطلق؟" فأفدنا بـ"هل" ما لم يكن في "زيد" ولا "منطلق")[3].

وقال الفيروز أبادي في قاموسه عند شرحه للحرف "وعِنْدَ النُّحاةِ: ما جاءَ لمعنًى لَيْسَ باسْمٍ ولا فِعْلٍ، وما سِوَاهُ من الحُدودِ فاسِدٌ"[4]. وهنا يشير إلى تعريف سيبويه وإن لم يسمِّه.

---

(1) الإرشاد إلى علم الإعراب للقرشي الكيشي ص 76

(2) حاشية ابن حمدون على شرح المكودي لألفية ابن مالك ص 35

(3) الصاحبي لابن فارس ص 50

(4) القاموس المحيط ص 799

أما ابن تيمية فقد احتج بتعريف سيبويه للحرف في ثنايا مباحثه ومناظراته العقدية، وفيه ينبه على أمر مهم - وهذا ما أشرنا إليه سلفا - حيث يبين اختلاف معنى الحرف في كلام العرب عنه في اصطلاح النحاة، فقد استعمله العرب في ما اصطلح عليه النحويون بـ ألكلمة أما حروف المباني والمعاني فإنها إنما تسمى حروفا على اصطلاح النحاة لا في أصل اللغة وهذا ما ينسحب أيضا عن مفهوم الكلمة يقول ابن تيمية" ولفظ الحرف يراد به الاسم والفعل وحروف المعاني واسم حروف الهجاء، ولهذا سأل الخليل أصحابه: كيف تنطقون بالزاي من "زيد"؟ فقالوا: زاي، فقال نطقتم بالاسم، وإنما الحرف "زه"، فبين الخليل أن هذه التي تسمى حروف الهجاء هي أسماء. وكثيرًا ما يوجد في كلام المتقدمين هذا (حرف من الغريب) يعبرون بذلك عن الاسم التام"[1].

وقال "ولفظ الحرف والكلمة له في لغة العرب التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بها معنى، وله في اصطلاح النحاة معنى. فالكلمة في لغتهم هي الجملة التامة، الجملة الاسمية أوالفعلية... فكثير من النحاة أو أكثرهم لا يعرفون ذلك بل يظنون أن اصطلاحهم في مسمى الكلمة ينقسم إلى اسم وفعل وحرف هو لغة العرب، والفاضل منهم يقول: وكلمة بها كلام قد يؤم"[2].

ونتج عن هذا الخلط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي سوء فهم حذر منه ابن تيمية أيما تحذير حيث قال "ومن أعظم الغلط في فهم كلام الله ورسوله، أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها"[3].

ومن نتائج هذا الملحظ الدقيق، جاء بيان ابن تيمية لمراد النبي صلى الله عليه وسلم في حديث فضل قراءة القرآن يقول "وأما تسمية الاسم وحده كلمة والفعل وحده كلمة والحرف وحده كلمة مثل هل وبل فهذا اصطلاح محض لبعض النحاة ليس هذا من لغة

---

(1) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج 12ص 62

(2) نفسه ج 12 ص 60

(3) نفسه ج 12 ص 61

العرب أصلا وإنما تسمى العرب هذه المفردات حروفا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (من قرأ القران فله بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[1]، والذي عليه محققو العلماء أن المراد بالحرف الاسم وحده والفعل وحرف المعنى"[2].

وقد جاء احتجاج ابن تيمية بدقة تحديد معنى الحرف عند سيبويه بقوله "والنحاة اصطلحوا اصطلاحًا خاصًا، فجعلوا لفظ "الكلمة" يراد به الاسم أو الفعل أو الحرف الذي هو من حروف المعاني؛ لأن سيبويه قال في أول كتابه: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل. فجعل هذا حرفًا خاصًا، وهو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل؛ لأن سيبويه كان حديث العهد بلغة العرب، وقد عرف أنهم يسمون الاسم أو الفعل حرفًا، فقيد كلامه بأن قال: وقسموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وأراد سيبويه أن الكلام ينقسم إلى ذلك قسمة الكل إلى أجزائه لا قسمة الكلي إلى جزئياته"[3].

ومن هنا نرى أن زيادة (ليس باسم ولا فعل) قيد ضروري لتبيين المقصود ما دام للفظ الحرف معنيان.

د- سبب تسمية الحروف

حاول بعض العلماء بيان علة تسمية هذا القسيم من الكلام حرفا وهذا من فقههم، حتى يحصل التصور والتمثل الجيد للمصطلح ومن ثمة الفهم الدقيق، يقول الزجاجي: "وسمي القسم الثالث حرفا لأنه حد ما بين هذين القسمين ورباط لهما، والحرف حد الشيء، فكأنه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها"[4] وهنا نشير إلى ضرورة الربط

---

(1) رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن و هو في صحيح الترمذي (رقم 2910)

(2) الرد على المنطقيين لابن تيمية 171

(3) مجموعة الفتاوى ج 12ص 62

(4) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص 44

بين الدلالتين اللغوية والاصطلاحية وهو أمر مطلوب لحصول التصور الأولي لفهم المصطلح الحادث، وهذا ما يؤكده ابن جني الذي عرض معاني الحرف المعجمية بين يدي حديثه عن مفهومه الاصطلاحي يقول "ومن هنا سميت حروف المعجم حروفا؛ وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه ويجوز أن تكون سميت حروفا؛ لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به، ومن هذا قيل فلان يقرأ بحرف أبي عمرو وغيره من القراء؛ وذلك لأن الحرف حد ما بين القراءتين وجهته وناحيته ويجوز أيضا أن يكون قولهم حرف فلان يراد به حروفه التي يقرأ بها أي القارىء يؤيدها بأعيانها من غير زيادة ولا نقص فيها فيكون الحرف في هذا وهو واحد واقعا موقع الحروف وهي جماعة كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾[1] أي والملائكة"[2].

ويضيف في موضع آخر "ومن هذا سمى أهل العربية أدوات المعاني حروفا نحو من وقد وفي وهل وبل وذلك لأنها تأتي في أوائل الكلام وأواخره في غالب الأمر فصارت كالحروف والحدود له"[3] ويعيب ابن جني على من تغيب عنهم الحقيقة اللغوية في استحضار الدلالة الاصطلاحية فيقول "فهذا كله يشهد لمعنى الحرف وهذه الطريق من الاشتقاق إنما يحذق حقيقتها من كان سَبْطا[4] مُرتاضا[5] لا كزًّا[6] ريِّضا[7]"[8].

بقي أن نشير إلى مصطلح آخر يطلق على حروف المعاني، وهو الأدوات وفي ذلك يقول مهدي المخزومي "وكان البصريون يسمونها حروف المعاني؛ لأن كل واحد منها يفيد معنى من المعاني، كالاستفهام والابتداء، والاستعلاء، والمجاوزة والاستدراك وغيرها. وكان

(1) الحاقة الآية 17

(2) سر صناعة الاعراب لابن جني ص 13

(3) نفسه ص 15

(4) رجل سبط : سمح كريم ويريد به هنا : سعة العلم

(5) تمت رياضته

(6) الكز : اليابس وهو كناية عن قلة العلم وسوء الفهم

(7) الريض : البادئ في الرياضة

(8) سر صناعة الإعراب ص 17

الكوفيون يسمونها أدوات، لأنها أصبحت رموزا مجردة، لا تدل على معنى مستقل، بحيث يمكن التعبير عنه، أو ترجمته، ولا يظهر معناها إلا إذا اتخذت لنفسها مكانا معينا في الجملة[(1)].

ولكن تعبير (الأدوات) لم يلق رواجا عند قدامى النحاة، وظلت تسمية (حروف المعاني) هي الأكثر شيوعا[(2)].

2- الحروف بين الإعمال والإهمال

أ - نظرية العامل

يقودنا الحديث عن عمل الحروف إلى الحديث عن نظرية العامل. هذه النظرية التي شغلت المتقدمين وأكثر المحدثين. وقد انقسم الدارسون إزاءها إلى طوائف ثلاث (وخاصة المعاصرين)

- فئة المؤيدين لها والمقتفين فيها أثر الرعيل الأول من النحاة المشيدين بها والعاضّين عليها بالنواجذ.
- وفئة معارضة لها داعية إلى إلغائها.
- وأخرى تدعي الوسطية وتطالب بإضفاء بعض التعديلات عليها.

وقد احتجنا أن نعرج على هذه المسألة بين يدي الحديث عن عمل الحروف اضطرارا؛ لأن الحروف العاملة تعد عصب هذه العوامل التي نازع فيها المعارضون حيث تكاد تبلغ نصف العوامل كما سيتبين من خلال عدة الحروف العاملة الآتي ذِكرها في ثنايا البحث.

نظر العلماء في اللغة العربية فوجدوا فيها خصائص مشتركة في الضبط والصوغ تسير على نهج خاص، فنبه ذلك أذهانهم إلى وضع قواعد عامة يلمون فيها بهذه الخصائص... واستغلوا فكرة أن كل حدث لا بد له من محدث وكل أثر لا بد له من مؤثر،

---

(1) مدرسة الكوفة لمهدي المخزومي ص 207

(2) مقدمة معجم حروف المعاني في القرآن الكريم لمحمد حسن الشريف ص "ق"

فطبقوها على الكلمات وضبطها في شتى أوضاعها وبحثوا عن شيء بعينه لينسبوا إليه أحداث هذه الظواهر الإعرابية، وهذا الشيء هو ما أسموه العامل، فأثبتوا له الوجود ووضعوا له أحكاما وقواعد"[1].

وكان أول من انطلق في تخطيطه للعامل والأبواب النحوية إمام العربية سيبويه وذلك من خلال الباب الثاني الذي سماه "هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية" وجمع فيه بين فكرتي الإعراب والعامل التي لا تنفك إحداهما عن الأخرى وإنما تعملان في تلازم مستمر. فجاء عبقري اللغة بنظرية كاملة غير ناقصة. ولا ينبغي أن ننسى في هذا الصدد أن تلقيه أسس هذا العمل كان على يد أئمة النحو الذين سبقوه وعلى رأسهم أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، فهذه النظرية، إن نسبت لسيبويه، فهي وليدة فكر جماعي استقرأ كلام العرب استقراء فذا وعبقريا.

وهكذا عملت نظرية العامل بعد سيبويه على توجيه عمل النحاة تنظيرا وتبويبا. وقد جعلوا لها ثلاثة أركان هي: العامل والمعمول وما يحدثه العامل من أثر إعرابي ويسمى بالحركة المتغيرة لفظا أو تقديرا"[2]. إلى أن جاء ابن مضاء القرطبي (592هـ) الذي يعد أول من انتقد هذه النظرية في كتابه "الرد على النحاة" حيث قال "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا لعامل لفظي، وأن الرفع منه ما يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا "ضرب زيد عمرا" أن الرفع الذي في "زيد" والنصب الذي في "عمرو" إنما أحدثه "ضرب" الا ترى أن سيبويه رحمه الله قال في صدر كتابه "وإنما ذكرت ثمانية مجار، لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل، ولا شيء منها وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه" فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب، وذلك بيِّن الفساد"[3].

---

(1) المعنى والإعراب عند النحويين لعبد العزيز عبده ص 708

(2) نظرية الحروف العاملة لهادي عطية مطر ص 27

(3) الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ص 69

وقد أثار هذا الرأي بما فيه من جرأة كبيرة جدالا واسعا بين الدارسين في عصرنا والذين أقبلوا على كتاب "الرد على النحاة" عند ظهوره محققا[1]، ومما فُسِّر به ذلك الإقبال قول أحدهم "لا نجد تفسيرا مقنعا لإقبال المعاصرين لنا على كتاب ابن مضاء إلا أنه صدر كتابه بعبارته: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه" وكان أمر النحو يشغل العلماء والمثقفين ورجال التربية في هذه الفترة ومن هنا أقبلوا عليه يدرسونه، ولعلهم قد وجدوا فيه ما وجدنا، وأدركوا أن ابن مضاء قد أثار الظمأ فيهم دون أن يرويهم؟"[2].

ولم تسلم نظرية العامل من دعاوى المعاصرين لإلغائها. فقد نادى بذلك زمرة من بني جلدتنا فضلا عن المستشرقين الحاقدين، ومن أبرز من حملوا لواء هذه الدعوة من العرب نجد (إبراهيم مصطفى ومهدي مخزومي وتمام حسان)[3].

ولأجل كل هذا ولإسكات الطاعنين على مرتكزات الكلام العربي وأنظمته المحكمة منذ القديم، تصدى عبقري اللغة والبلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) لهؤلاء المزهدين في النحو وأسسه "فاستطاع بعقله المبدع ومقدرته البارعة أن يتخذ من تلك النقطة المعابة (نظرية العامل) التي أرادوا أن يجعلوا منها منطلقا لهدم النحو استطاع هو أن يتخذ منها مرتكزا لانطلاقة نحو نظرية جديدة في عالم اللغة إلى يومنا هذا"[4].

فكان أن كتب الجرجاني رسالته في العوامل التي تبين فهمه الدقيق لنظام اللغة وحسن تمثله كلام من سبقوه من أئمة اللغة، بل وجعل النظرية برمتها شرطا في صحة النظم جامعا بين التركيب والدلالة وفي هذا يقول الجرجاني في دلائله "ومَّما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنّه لا يُتصوَّرُ أن يتعلّق الفكر بمعاني الكلم أفرادًا ومجرّدةً من معاني النّحو، فلا يقوم في وهمٍ ولا يصحّ في عقلٍ أن يتفكّر متفكّرٌ في معنى فعلٍ من غير أن

---

(1) أول من حققه و اخرجه من بين المخطوطات د. شوقي ضيف

(2) محقق كتاب الرد على النحاة في مقدمته وهو محمد إبراهيم البنا ص 46

(3) الأحكام النحوية لدليلة مزوز (الصفحات : 227- 249- 274)

(4) مقدمة محقق شرح العوامل المائة للجرجاني شرح خالد الأزهري ص 19

يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكّر في معنى اسمٍ من غير أن يريد إعمال فعلٍ فيه وجعله فاعلاً له أو مفعولاً"[1].

ولا بد عند الحديث عن مركزية نظرية العامل في النحو العربي من التعريج باختصار على قضية أخرى لا تقل خطورة عن سابقتها ألا وهي أصالة الإعراب في اللغة العربية فثمة علاقة مباشرة بينه وبين العامل كونه الأثر الظاهر الذي يجلبه العامل[2]. وهذا الإعراب (خاصية العربية المميزة) والذي انبرى لتفسيره عباقرة النحو في نظريتهم الخالدة قد تعرض أيضا للتشكيك في أصالته من طرف قطرب (ت 206هـ)، حيث نقلت لنا كتب التراث مقولته الشاذة التي قدم فيها ما عدّه علة إعراب كلام العرب زاعما أنه غير خاضع لنظام ثابت[3].

وبقي هذا الادعاء فريدا في تاريخ العربية إلى أن أعيد إحياؤه في ثوب معاصر، يقول إبراهيم السمرائي بعد أن علق على النظرة السطحية لقطرب التي عَدّت فيها الإعراب ظاهرة لفظية بحتة "وممن ذهب مذهب قطرب من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس، ولكنه حلا له أن يلتزم بالرأي مفصّلا فيه وكأنه أول من قال بهذا الرأي"[4].

ونقول ختاما إن تلك المحاولات التي تدعي تجديدا أو إحياء لنحو عربيتنا قد باءت بالفشل ولم تقدم بديلا مقنعا وبقيت نظرية العامل قوية راسخة لا تهافت فيها ولاهلهلة، وبقي الإعراب الخاصية الفريدة للعربية. ولا يسع الناظر في عمل النحاة الأوائل إلا أن يعجب بمجهوداتهم ويُعْظِم تلك العقول الجبارة التي اهتدت إلى تقعيد تلك الأنظمة.

---

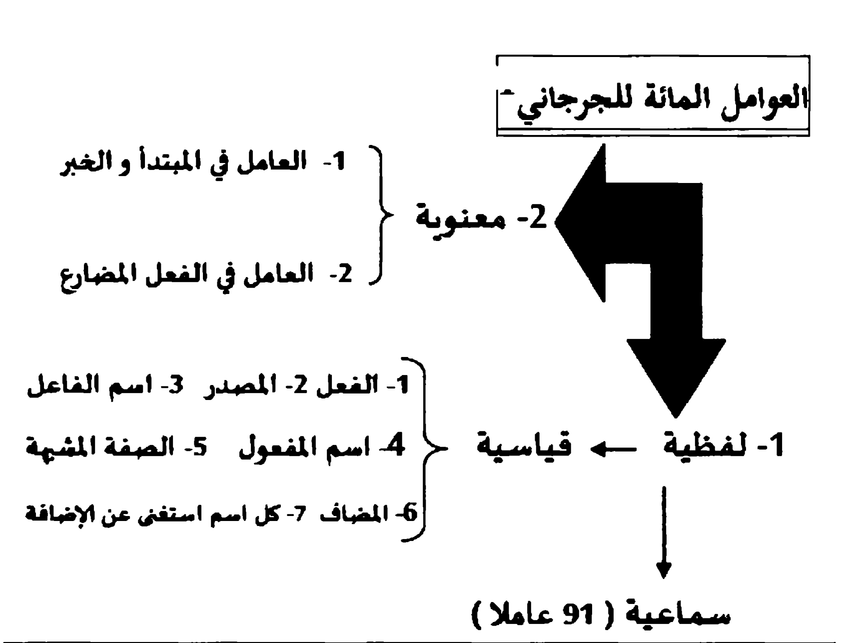
(1) دلائل الإعجاز للجرجاني ص 410

(2) همع الهوامع للسيوطي ج1 ص 53

(3) نقل الزجاجي مقولة قطرب وردّ عيها ردًا مفحما في كتابه "الإيضاح" ص 70

(4) دراسات في اللغة لإبراهيم السمرائي ص 13

خطاطة تتضمن العوامل المائة للجرجاني[1]



سماعية (91 عاملا)

النوع	عوامله
1-حروف الجر (17)	من – إلى – في – حتى – اللام – رب – على – الكاف – مذ – منذ – الباء واو القسم وتاؤه وباؤه – حاشا – عدا – خلا
2- حروف تنصب الاسم و ترفع الخبر (6)	إنَّ – أنَّ – كأنَّ – لكنَّ – ليت – لعل
3- حرفان يرفعان الاسم وينصبان الخبر	– ما النافية المشبهة بـ ليس – لا النافية المشبهة بـ ليس
4- حروف تنصب الاسم (7)	– واو المعية – إلا للاستثناء – يا – أيا – هيا – أي – الهمزة
5- حروف تنصب الفعل المضارع (4)	أنْ – لن – إذن – كي
6- حروف تجزم الفعل المضارع (5)	إنْ الشرطية – لم – لمّا – لا الناهية – لام الأمر
7 – أسماء تجزم الفعل المضارع (9)	من -أي -ما -متى -مهما -أين -حيثما -إذما -أنى

[1] ملخص من العوامل للجرجاني مع شرحه لخالد الأزهري

النوع	عوامله
8 - أسماء تنصب نكرات على التمييز (4)	عشرة إذا ركبت و ألفاظ العقود - كم للاستفهام - كأي - كذا وهي كناية عن العدد
9- أسماء الأفعال (9)	رويد - بله - دونك - حيهل - عليك - هاء - هيهات - سرعان - شتان
10- الأفعال الناقصة (13)	كان – صار – أصبح – أمسى – أضحى – ظل – بات – مازال – مابرح – مافتئ – ماانفك – مادام – ليس
11- أفعال المقاربة (4)	عسى – كاد – كرب – أوشك
12- أفعال المدح والذم (4)	نعْم – بئس – حبذا – ساء
13 – أفعال الشك واليقين (7)	ظن – حسب – خال – علم – رأى – وجد – زعم

ب- تقسيمات النحاة لحروف المعاني

أور د السيوطي في الأشباه والنظائر تقسيمات عديدة للحروف، ويمكن تصنيفها وفق الاعتبارات الأربع التالية:

باعتبار: 1- بنيتها 2 - عملها 3 - وظيفتها الإجمالية 4- وظيفتها التفصيلية

ولعل أجمع تقسيم ضَمَّ هذه الاعتبارات السابقة هو تقسيم الأندلسي في شرح (المفصل)، يقول السيوطي نقلا عنه "أعلم أن للحروف انقسامات كثيرة، فتقسم إلى ما يكون على حرف واحد وإلى ما يكون على اثنين فصاعدا إلى خمسة نحو لكنَّ، والزائد على حرف إما أن يكون مفردا أو مركبا نحو من وإلى وإما ولولا". (قلت): وهذا التقسيم باعتبار البنية.

ويضيف "وتنقسم أيضا إلى عاملة وغير عاملة" وهذا هو الصنف الخاص بالعمل.

وقال "وتنقسم إلى مختص بأحد القسمين وغير مختص، وقد قيل إن الحرف إما أن يجيء لمعنى في الاسم خاصة نحو لام التعريف وحرف الإضافة والنداء وغير ذلك، أو في الفعل خاصة نحو قد والسين وسوف والجوازم والنواصب، أو رابطا بين اسمين أو بين فعلين كحروف العطف، أو بين فعل واسم كحروف الجر، أو بين جملتين كحروف الشرط، أو

داخلا على جملة تامة قارنا لمعناها نحو إن، أو زائدا للتأكيد نحو الباء في نحو ليس زيد بقائم"[1].
وتضمن هذا الجزء من كلام الأندلسي التقسيم باعتبار الوظيفتين الإجمالية والتفصيلية.

والذي يهمنا من كل هذه التقسيمات في هذه الدراسة هو التقسيم الثاني أي باعتبار عمل الحروف.

ج- عدة الحروف العاملة والخلاف حولها

يجدر بنا قبل الحديث عن عدة هذه الحروف أن نورد العدد الإجمالي لنوعيها العامل والمهمل كما أشارت إليه بعض الكتب وقد اختلفت في حصرها اختلافا واضحا:

- ذكر الرماني (388هـ) في كتابه "معاني الحروف": ثمانية وستين حرفا
- وأما الهروي (415هـ) فذكر منها في "الأزهية": واحدا وأربعين حرفا
- وعدها المالقي (702هـ) في "رصف المباني": خمسة وتسعين حرفا
- وبلغ بها المرادي (749هـ) في "الجنى الداني": خمسة ومائة حرف
- وذكر ابن هشام (761هـ) في "المغني": تسعة وتسعين حرفا
- وأوصلها السيوطي (911هـ) في "الإتقان": اثني عشر ومائة حرف

وأما الحروف العاملة فلم تلق هي الأخرى اتفاقا وإجماعا على عددها، قال ابن بابشاذ (469هـ) عند حصره لها "فإن الحروف العاملة مشكلة جدا"[2]. وقد أظهرت كتب التراث مادة خلافية بين النحويين في عمل هذا الحرف أو ذاك.

ونورد هاهنا كلام كل من المرادي والمالقي حول الحروف العاملة بوصفهما أكثر من استوعبها في مصنفيهما، وبعد ذلك نخلص إلى أسباب نشوب الخلاف بين النحاة حول الحكم بعمل بعض الحروف من عدمه. يقول المرادي: "قد علم، مما سبق، أن الحرف قسمان: عامل، وغير عامل. فالعامل هو ما أثر فيما دخل عليه رفعاً، أو نصباً، أو جراً، أو جزماً. وغير

(1) الأشباه والنظائر للسيوطي ج 2 ص 18

(2) شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ ص 216

العامل بخلافه، ويسمى المهمل.ثم إن العامل قسمان: قسم يعمل عملاً واحداً، وقسم يعمل عملين.

فالأول إما ناصب فقط، كنواصب الفعل، و"إلا" في الاستثناء، وواو "مع" عند من يراهما عاملين. وإما جار فقط، وهو حروف الجر. وإما جازم فقط، وهو حروف الجزم. وليس في الكلام حرف يعمل الرفع فقط، خلافاً للفراء في قوله: إن "لولا" ترفع الاسم الذي يليها، في نحو: لولا زيد لأكرمتك ومذهب البصريين أن الاسم، بعدها، مرفوع بالابتداء. والثاني قسم واحد، ينصب ويرفع، وهو "إنّ" وأخواتها، و"ما" الحجازية وأخواتها. وزاد بعض المتأخرين قسماً آخر، يجر ويرفع. قال: وهو "لعل" خاصة، على لغة بني عقيل. وليس كما ذكر، فإن "لعل" على هذه اللغة جارة فقط. ولرفع الخبر بعدها وجه غير ذلك[1].

ويقول المالقي الذي وصلت عدة الحروف العاملة عنده إلى أربعة وأربعين حرفا "وتنقسم العاملة من هذه الحروف، لازمة كانت أو غير لازمة، من جهة عملها، أربعة أقسام: قسم عامل رفعا ونصبا في الأسماء، وقسم عامل جرا فيها، وقسم عامل نصبا في الأفعال، وقسم عامل جزما فيها. فالعامل رفعا ونصبا في الأسماء نوعان، كلاهما مركب: نوع يرفع الاسم وينصب الخبر، وذلك ثلاثة أحرف وهي: ما وليس ولا عند بعضهم، ونوع ينصب الاسم ويرفع الخبر وذلك تسعة أحرف وهي: إنَّ وأنَّ وإنْ وأنْ وكأنَّ وولكنَّ وليت ولعلَّ وغَنَّ. والعامل جرا فيها من المفردات خمسة أحرف وهي: الباء والتاء والواو والكاف واللام، ومن المركبات سبعة عشر حرفا وهي: إلى وحاشا وحتى وخلا ورب ومذ ومِن ومُن ومنذ ومع وكي ولولا – على رأي - وعلّ وعدا وعن وعلى وفي، والعامل نصبا في الأفعال خمسة أحرف مركبات وهي: أنْ و لن وإذن وكيما وكي، والعامل فيها جزما من المفردات حرف واحد وهو اللام. ومن المركبات أربعة أحرف وهي: لم ولمّا وإنْ وإذْ مقرونة ب" ما"[2].

---

(1) الجنى الداني للمرادي ص 28

(2) رصف المباني للمالقي ص 100

وترجح أسباب الخلاف بين النحاة في إعمال بعض الحروف أو إهمالها إلى اختلاف منطلقاتهم في تحديد قواعد العمل وشروطه وقد يرجع بعضها للغات العرب[1].

أما ما يخص المسألة الأولى فقد اشترط النحاة في عمل الأداة ثلاثة شروط:

- الاختصاص
- شبه الفعل
- عدم الفصل بين العامل والمعمول غالبا[2]

غير أن أكثر اختلافهم ركز على الشرط الأول وهو الاختصاص والذي يراد به لزوم الحرف لقسيم معين (الاسم أو الفعل) فإذا دخل الحرف عليهما لم يكن مختصا ثم لم يكن عاملا. ومن ثمة اختلفوا في عمل بعض الحروف كـ"حتى" وكي" و"ما الحجازية" وغيرها. وقد اتخذ العلماء هذا الشرط من بين أسس تقسيمات الحروف وذلك ما يؤكده كلام ابن حمدون في حاشيته على المكودي حيث أورد تقسيما للحرف على أساس الاختصاص يقول "قد حقق العلامة أبو عبد الله سيدي محمد الزروالي أن الحروف أقسام ثمانية: قسم مشترك ولا يعمل. ثانيها: ماهو مشترك ويعمل على خلاف الأصل كـ"ما" و"لا" وإنما خرجتا عن أصلهما تشبيها لهما بـ"ليس". ثالثها: ما يختص بالاسم كـ"في" فيعمل الجر على الأصل. رابعها: ما يختص بالاسم ويعمل العمل غير الخاص بالاسم وهو إن وأخواتها وخرجت عن العمل الخاص لشبهها بالفعل في المعنى، والفعل يرفع وينصب فكذلك ما أشبهه. خامسها: ما يختص بالاسم ولا يعمل شيئا على خلاف الأصل كـ"أل" التعريفية وإنما لم تعمل لشدة اتصالها بالاسم فهي كالجزء منه. سادسها: ما يختص بالفعل كـ"لم" فيعمل الجزم على الأصل. سابعها: ما يختص بالفعل أيضا ويعمل النصب على خلاف الأصل كـ"لن" وإنما خرجت عن الأصل تشبيها لها بـ"ليس" في نفي الحال. ثامنها: ما يكون مختصا بالفعل ولا يعمل شيئا كـ"قد" والسين وسوف وإنما لم تعمل لأنها صارت كالجزء منه فهي بمنزلة "أل" التعريفية في الأسماء[3].

---

(1) الخلاف النحوي في الأدوات لعامر بلحاف ص 111

(2) نظرية الحروف العاملة لهادي مطر ص 6 و 17

(3) حاشية ابن حمدون على المكودي ص 36

ونشير أخيرا إلى أن بعض هذه الحروف العاملة قد يكف عن العمل ومن أسباب كفها[1]:

1- الكف عن العمل بزيادة حرف بعد العامل (مثل زيادة "ما" بعد" إنّ").
2- التقديم، كتقديم خبر "ما" النافية المشبهة بـ"ليس" على اسمها.
3- انتقاض معنى النفي، كاستخدام "إلا" في باب "ما" الحجازية.
4- التخفيف، كما في باب إن وأخواتها.
5- التعريف، كتعريف الاسم في بابي "لا" المشبهة بـ"ليس" و"ما" النافية للجنس.
6- التكرار، كتكرار "لا" النافية للجنس، نحو (لا حول ولا قوة إلا بالله).
7- إهمال الحروف العاملة بدخول عوامل أخرى عليها، كدخول "لم" على "إنْ" الشرطية
8- إهمال العامل في لغات العرب، كما في "ما" التميمية، و"لا" العاملة عمل "ليس" عند الحجازيين.

(1) الخلاف النحوي لعامر بلحاف ص 154

وفيما يلي جرد لحروف الجر الواردة في سورة الأعراف والتي ستنصب عليها الدراسة التطبيقية في الفصول اللاحقة[1]

حرف الجار	مرات وروده
1- من	155
2- إلى	29
3- في	62
4- اللام	108
5- الباء	129
6- عن	34
7- على	54
8- الكاف	06
9- واو القسم	06
الجموع	583

3- مصنفات حروف المعاني

أ- التراثية القديمة

اهتم علماء اللغة والنحو والبلاغة والمتفلسفة بحروف المعاني ووضعوا فيها مصنفات لأنها كما قال المالقي في خطبته أكثر دورا ومعاني معظمها أشد غورا، وتركيب أكثر الكلام عليها، ورجوعه في فوائده إليها[2]. "فعلماء اللغة تناولوها من ناحية مخارجها، وأصواتها وإبدالها، وإعلالها، وبنيتها، ودلالتها. وعلماء النحو تناولوها من ناحية إعمالها وإهمالها وزيادتها وحذفها وشروطها في ذلك، ومعانيها. وأما علماء البلاغة فقد عالجوها من ناحية

(1) هذا الجرد مستفاد من كتاب: معجم الحروف والمعاني في القرآن الكريم لمحمد حسن الشريف.

(2) رصف المباني للمالقي ص 97

دلالتها المختلفة وأوجه استعمالها حسب مقتضى الحال، وآثارها في تغير دلالة الكلام، ويشاركهم في هذه الناحية من دراسة الحروف، علماء التفسير وعلماء الأصول[1].

ويمكن تقسيم المصنفات التي اختصت بدراسة الحروف إلى مجموعتين:

1- المصنفات العامة :

(وتشمل الكتب النحوية واللغوية والقرآنية والأصولية).

فأما الكتب النحوية فدرست الحروف ضمن مباحث النحو وأفردت لها أبوابا خاصة وعلى هذا سارت الكتب الأمهات كالكتاب لسيبويه والمقتضب للمبرد وكتاب الأصول لابن السراج والمفصل للزمخشري وشرح التسهيل لابن مالك وهمع الهوامع للسيوطي. وسارت على المنهج نفسه كتب التفسير ومعاني القرآن وعلومه ككتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة 210هـ ومعاني القرآن للأخفش 215 هـ وتفسير جامع البيان للطبري 310 هـ والكشاف للزمخشري 538 هـ والبحر المحيط لأبي حيان 745 هـ والبرهان في علوم القرآن للزركشي 794 هـ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي 911 هـ. كما عمد بعض علماء اللغة في مصنفاتهم إلى إفراد أجزاء خاصة للحروف وأنواعها، ومن تلك المصنفات المعاجم اللغوية: كالعين للخليل وتهذيب اللغة للأزهري 370هـ ولسان العرب لابن منظور وكتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم لابن فارس وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي 429هـ. كما اهتم الأصوليون والفقهاء بدراسة الحروف وضمنوها كتبهم ومن ذلك نجد: كتاب المنخول والمستصفى للغزالي 505 هـ والإحكام في أصول الأحكام للآمدي 631 هـ.

2- المؤلفات المختصة بالحروف

ذكر محقق[2] كتاب حروف الهجاء للمزني عددا من هذه المصنفات التي اعتنت بدراسة حروف المعاني فقط وأخرى أفردت للمباني مع إلمام بالمعاني، وضمنها دراسات شاملة لا تختص بحرف معين ومجموعة أخرى من الكتب أفردت لحرف واحد أو لأداة

---

[1] حروف الجر و أثرها في الدلالات لمحمد الناغوري ص 28

[2] حروف الهجاء للمزني ج 1 ص 198

واحدة. وقد أوصلها الباحث إلى اثنين وستين كتابا (المفقود والمخطوط والمطبوع) وسنكتفي هنا بذكر المصنفات المطبوعة مرتبة ترتيبا هجائيا مع التعليق على أهمها[1]:

1- الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي (415 هـ): شرح فيه حروف المعاني دون التزام منهج واحد في الترتيب والشرح.
2- الألفات لابن خالويه (370هـ) وقصره على الهمزة والألف وأنواعهما في العربية.
3- الجنى الداني في حروف المعاني: للحسين بن قاسم المرادي (749هـ) :توسع مؤلفه في مقدمته التي يشرح فيها حد الحرف وجملة معانيه وأقسامه، ورتب حروف المعاني حسب بنيتها فبدأ بالأحادي وانتهى بالخماسية.
4- جواهر الأدب لعلاء الدين بن علي الإربلي (631 هـ): وهو معجم للحروف العربية رتب فيه الحروف حسب بنيتها، فبدأ بالأحادية وانتهى بالخماسية، تجاوز فيه المفهوم التقليدي لحروف المعاني، وتناول مجمل حروف العربية.
5- الحروف لأبي الفضائل الرازي (631 هـ) وهو كتاب مختصر يبحث في التقسيمات المختلفة لحروف الهجاء ولا يبحث في حروف المعاني.
6- الحروف للفارابي 339هـ.
7- الحروف لأبي الحسين المزني من علماء القرن 4هـ يشرح فيه مصنفه حروف المعاني بمنهج مطرد.
8- حروف المعاني لأبي القاسم الزجاجي (340 هـ): شرح فيه سبعة وثلاثين ومائة حرف من حروف المعاني، وأدخل فيه ألفاظا كثيرة لم يعتبرها اللاحقون من حروف المعاني. ويعتبر الزجاجي أول من أفرد مصنفا مستقلا لحروف المعاني.
9- ذخيرة التلا في أحكام (كلا) للمحلي الحازمي
10- رسالة في أسباب حدوث الحرف للفيلسوف أبي علي بن سينا (428 هـ) وحلل فيه مخارج الحروف وسبب حدوثها وتشريح الحنجرة واللسان والأسباب الجزئية لحدوث كل حرف عربي وغير عربي.

---

[1] بعض التعليقات من مقدمة معجم حروف المعاني في القرآن الكريم لمحمد الشريف الصفحات (ش – ت – ث)

11- رسالة في الحروف العربية: منسوبة للنضر بن شميل (203هـ)

12- رصف المباني في حروف المعاني: لأحمد المالقي (702هـ) يسير فيه مؤلفه على منهج مترابط منظم مرتب على ترتيب حروف المعجم، قصره على حروف المعاني، مع الأخذ بالمفهوم الموسع لها الذي يتجاوز الأدوات.

13- سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني (392هـ) يمتاز بكونه أول كتاب مستقل تناول حروف المباني من جميع النواحي مخارجها وصحيحها ومعتلها.

14- شرح الألفات لأبي بكر بن الأنباري (328 هـ).

15- كفاية المعاني في حروف المعاني لعبد الله الكردي البيتوشي.

16- اللامات لأبي القاسم الزجاجي (340 هـ): عرض لإحدى وثلاثين لاما، أما طريقته في دراستها فهي ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرفها، والاحتجاج لكل موقع من مواقعها وما بين العلماء في بعضها من الخلاف[1].

17- اللامات لابن فارس (390 هـ).

18- اللامات للنحاس (338 هـ).

19- اللامات للهروي (415 هـ).

20- معاني الحروف لأبي الحسن علي الرماني (384 هـ).

21- منازل الحروف للرماني (أيضا): وهو كتيب صغير حصر فيه مصنفه طائفة من حروف المعاني وشواهدها.

22- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري (761 هـ) ورغم أن هذا الكتاب ضم أبوابا من النحو مختلفة، إلا أن نصفه الأول جعله لحروف المعاني وقد نال الكتاب شهرة واسعة واعتبر من المراجع الأساسية لحروف المعاني وتجاوزت شهرته الكتب التي عرضت لحروف المعاني وحدها، التزم فيه مصنفه منهجا واضحا، ورتبه على حروف المعجم .

---

[1] اللامات لعبد الهادي الفضلي ص 9

ولقد فات محقق كتاب "حروف الهجاء" ذكر المصنفات التالية:

- التحفة الوفية بمعاني حروف العربية لإبراهيم السفاقسي (742 هـ).
- رسالة "كلا" في القرآن لأحمد بن رستم الطبري (المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري).
- الاستغناء في أحكام الاستثناء لشهاب الدين القرافي (682 هـ) وجعله لأدوات الاستثناء.
- مصابيح المغاني في حروف المعاني للموزعي (825هـ): امتاز هذا الكتاب بالاستقصاء والشمول وذلك راجع لاستفادته من منهج ابن هشام في كتابه المغني لكنه زاد على ذلك بما نقله عن المؤلفات الأخرى فأثرت بذلك مادته العلمية وأتى على أدوات لم يأت بها ابن هشام مستفيدا من كل كتاب وقع في يده.

ونشير هنا إلى أن بعض المؤلفات في التراث العربي تحمل اسم (حروف) غير أنها تبتعد في طرحها عن مفهوم الحرف أو الأداة. ومن هذه المؤلفات (ثلاثة كتب في الحروف) التي حققها رمضان عبد التواب، ينسب الأول للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) والثاني لابن السكيت (244هـ) والثالث لأحمد بن محمد الرازي (643 هـ). فطرح الخليل في كتابه معجمي (يقول مثلا: التاء: البقرة التي تحلب...)، أما كتاب ابن السكيت فهو خاص بالكلمات التي يتكلم بها في غير مواضعها، أما كتاب الرازي فهو في صفات الحروف ومخارجها والترتيب الأبجدي.."[1].

ب – الكتب الحديثة:

وهذه بعض الكتب المؤلفة في العصر الحديث والتي ذُكِرَ بعضها في مقدمة معجم حروف المعاني في القرآن[2] إضافة إلى ما وقفت عليه وأفدت منه وجعلته من مراجع دراستي وهي:

---

(1) اللامات لعبد الهادي الفضلي ص 29

(2) معجم حروف المعاني القرآن لمحمد حسن الشريف ص " ث"

1- الأدوات النحوية في كتب التفسير لمحمود الصغير.

2- تناوب حروف الجر في لغة القرآن لمحمد حسن عواد.

3- الحروف العاملة في القرآن بين النحويين والبلاغيين لهادي عطية مطر الهلالي.

4- حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه لمحمود سعيد وهو بحث شامل في حروف المعاني بين استعمالاتها النحوية والفقهية.

5- دراسات لأسلوب القرآن لمحمد عبد الخالق عضيمة وهو جهد دراسي ضخم، أمضى فيه مؤلفه ثلث قرن من الزمان، مستقرئا أسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته، متناولا جميع تطبيقات أبواب النحو والصرف في كتاب الله. وكان القسم الأول المكون من ثلاثة أجزاء هو الأكثر إثارة للاهتمام، إذ خصصه لحروف المعاني في القرآن الكريم.

6- اللامات لعبد الهادي الفضلي وفيه يقدم دراسة نحوية شاملة للامات في اللغة العربية.

7- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم لإسماعيل عمايرة وعبد الحميد مصطفى السيد.

8- معجم حروف المعاني لأحمد جميل شامي قدم له بشرح عن حروف المعاني ثم أوردها مرتبة حسب بنيتها.

9- مقدمة لدرس لغة العرب لعبد الله العلايلي وهو كتاب ظهر سنة 1938م وتضمن طروحات جريئة حول ظواهر اللغة العربية ومناهج البحث المعجمي فيها ومن بينها ظواهر نشوء الحروف وإمكان وجود دلالات لها وتطور الأصوات والحروف والصيغ

10- موسوعة الحروف في اللغة العربية لإميل بديع يعقوب وهي من أشمل ما وضع في هذا الباب من معاجم.

ثانيا: حروف الجر وأحكامها النحوية

1- تعريفها وتسميتها

لم يورد جمهور النحاة عند حديثهم عن حروف الجر حدا دقيقا لها وإنما اكتفوا بذكر اختلاف تسمياتها بين الكوفيين والبصريين. ومع ذلك فإننا نجد في بعض تفسيراتهم لأسباب التسمية إشارات للتعريف. ومن أوضح هذه التعريفات قول الأزهري (905هـ): "وحروف الجر: ما وضع للإفضاء بفعل أو شبهه أو معناه إلى ما يليه وهو الاسم الصريح" ثم طفق يشرحه بقوله (فالفعل): نحو: مررت بزيد. فإن الباء أفضى معنى الفعل إلى الاسم الصريح وهو زيد و(شبه الفعل): نحو: أنا مار بزيد، فإن الباء أفضى معنى مار وهو شبه الفعل إلى زيد، و(معنى الفعل): نحو زيد في الدار لإكرامك: أي استقر فيها له"[1].

وأطلق النحويون على هذه الحروف مسميات منها:

أ- حروف الجر

يقول الصبان معللا سبب استحقاقها هذا الاسم "وإنما سميت حروف الجر إما لأنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء، أي توصلها إليها فيكون المراد من الجر المعنى المصدري..... وإما لأنها تعمل الجر فيكون المراد بالجر الإعراب المخصوص كما في قولهم حروف النصب وحروف الجزم"[2].

ويزيد الأزهري الأمر توضيحا فيقول إنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء، لأنك إذا قلت: "مررت بزيد" فاتصل معنى المرور بزيد. وقيل: تسميتها بالحروف باعتبار عملها، فيكون من قبيل تسمية المؤثر باسم الأثر، كما سميت حروف الجزم لأن عملها الجزم[3].

---

(1) العوامل للجرجاني مع شرحه لخالد الأزهري ص 87

(2) حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك ج2 ص 317

(3) شرح عوامل الجرجاني المائة الأزهري ص89

ب- حروف الإضافة

وعن هذه التسمية يقول ابن يعيش "اعلم أن هذه الحروف تسمى حروف الإضافة لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها"[1].

ولعل من أطلق هذه التسمية على حروف الجر انتزعها من كلام سيبويه عندما استعمل فعل الإضافة عند حديثه عنها يقول "وأما الباء وما أشبهها فليست بظروف ولا أسماء ولكنها يضاف بها إلى الاسم ما قبله أو بعده"[2].

ويعلق السيرافي فيقول "ومعنى هذا: أن حروف الجر تصرف الفعل التي هي صلته إلى الاسم المجرور بها. ومعنى إضافتها إلى الفعل: ضمها إياه واتصاله إلى الاسم كقولك: رغبت في زيد، وقمت إلى عمرو. فـ"في" أوصلت إلى زيد الرغبة و "إلى" أوصلت القيام إلى عمرو"[3].

ج- حروف الصفات

يذكر السيوطي هذه التسمية بعد ذكر السابقتين فيقول "وحروف صفات؛ لأنها تحدث صفة في الاسم فقولك جلست في الدار، دلت "في" على أن الدار وعاء للجلوس"[4]..

ويعلل الأزهري أيضا هذه التسمية فيقول "وحروف صفات لأنها تحدث صفة في الاسم من ظرفية أو غيرها"[5].

ويضيف ابن يعيش أنها من اختيارات الكوفيين مبينا سبب تسميتهم لها بذلك فيقول "وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات؛ لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات"[6].

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش ج8ص7

(2) الكتاب ج1 ص 420

(3) شرح السيرافي للكتاب ج2 ص 312

(4) همع الهوامع للسيوطي ج 2 ص331

(5) شرح التصريح على التوضيح للأزهري ج 1 ص 630

(6) شرح المفصل لابن يعيش ج 8 ص 7

2- عدة حروف الجر والخلاف فيها

تفاوت نظر النحاة إلى حروف الجر وعددها فمنهم من جعلها ثمانية عشر حرفا كما فعل سيبويه، وقد ذكرها متفرقة في كتابه وهاهي ذي حسب مواضع ذكره لها:

1- الموضع الأول يقول فيه "فأما الذي ليس باسم ولا ظرف فقولك: مررت بعبد الله وهذا لعبد الله وما أنت كزيد وياللبكر وتالله لا أفعل ذاك ومن وفي ومذ وعن ورب وما أشبه ذلك وكذلك أخذته عن زيد وإلى زيد"[1].

ويقول في آخر الباب[2] "وإذا قلت: بالله ووالله وتالله فإنما أضفت الحلف إلى الله سبحانه".

2- وقال في موضع آخر منذ، فيمن جر بها لأنها بمنزلة "من" في الأيام"[3].

3- وقال في موضع آخر "وأما حاشا فليس باسم، ولكنه حرف يجر ما بعده كما تجر حتى ما بعدها، وفيه معنى الاستثناء. وبعض العرب يقول: ما أتاني القوم خلا عبدِ الله، فيجعل خلا بمنزلة حاشا"[4].

4- وقال في مكان آخر من كتابه "وذلك لولاك ولولاي إذا أضمرت الاسم فيه جُرَّ، وإذا اظهرت رفع"[5].

5- ثم قال في موضع آخر "وبعض العرب يجعل كي" بمنزلة "حتى" وذلك أنهم يقولون: كيمه في الاستفهام فيعملونها في الأسماء كما قالوا حتى مه، وحتى متى ولمه فمن قال كيمه فإنه يضمر أن" بعدها وأما من أدخل عليها اللام ولم يكن من كلامه كيمه فإنها عنده بمنزلة أن وتدخل عليها اللام كما تدخل على أن ومن قال كيمه جعلها بمنزلة اللام"[6].

---

(1) الكتاب ج1 ص 419 (باب الجر)

(2) نفسه ج1 ص 421

(3) نفسه ج1 ص 17

(4) نفسه ج 2 ص 349

(5) نفسه ج2 ص 373

(6) نفسه ج 3 ص 6

6- أما "علىٰ" فَنُقِل عن سيبويه الخلاف في عدها حرف جر، ويذهب المرادي إلى أنه يعدها كذلك يقول في الجنى الداني "وذهب ابن طاهر، وابن خروف، وابن الطراوة، والزبيدي، وابن معزوز، والشلوبين في أحد قوليه، إلى أنها اسم، ولا تكون حرفاً. وزعموا أن ذلك مذهب سيبويه. (يقول المرادي): صرح سيبويه بهذا في باب (عدة ما يكون عليه الكلام). قيل: ويحتمل التأويل على أن يريد: ولا تكون إلا ظرفاً، إذا كانت اسماً. لأنه نصٌ، في أول الكتاب، على أن "علىٰ" حرف"[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أن حروف الجر عند سيبويه ثمانية عشر حرفا وهي:

(الباء واللام والكاف وواو القسم وتاؤه ومن وفي ومذ ومنذ وعن ورب وإلى وعلى وخلا وحاشا وحتى وكي ولولا).

أما الجرجاني فقد ذكر سبعة عشر حرف جر ضمن عوامله المائة وهي "من وإلى وفي وحتى واللام ورب وعلى والكاف ومذ ومنذ والباء وواو القسم وتاؤه وباؤه وحاشا وعدا وخلا"[2].

بينما نجد أن المالقي قد أوصلها إلى اثنين وعشرين حرفا يقول "والعامل جرا فيها من المفردات خمسة أحرف وهي: الباء والتاء والواو والكاف واللام، ومن المركبات سبعة عشر حرفا وهي: إلى وحاشا وحتى وخلا ورب ومذ ومِن ومُن ومنذ ومع وكي ولولا – على رأي – وعلّ وعدا وعن وعلى وفي"[3].

وبلغ بها أبو حيان خمسة وعشرين حرفا كما أورد ذلك ابن هشام في شرحه اللمحة يقول "فحروف الجر: من وإلى وعن وعلى وفي وحاشا وخلا وعدا ورب ومتى ولعل وكي والباء واللام والكاف وحتى ومذ ومنذ والهاء والهمزة لاستفهام أو قطع ومُن ومَ ومُ ومِ والتاء والواو ولولا"[4].

---

(1) الجنى الداني للمرادي ص 473

(2) شرح العوامل المائة للأزهري ص 89

(3) رصف المباني للمالقي ص 101

(4) اللمحة البدرية لابن هشام ج 2 ص 239

وأما ابن مالك فكان وسطا وبلغت حروف الجر عنده عشرين حرفا وهذا هو المشهور فيها قال في الألفية[1]:

هاك حروف الجر وهي من إلى	حتى خلا حاشا عدا في عن على
مذ منذ رب اللام كي واو وتا	والكاف والبا ولعل ومتى

ويقول ابن حمدون في حاشيته على شرح المكودي معلقا على هذين البيتين "وقد زاد بعضهم الجر باثني عشر حرفا وقال: إن مجموع الحروف اثنان وثلاثون حرفا، وجعل منها ها التنبيه وهمزة الاستفهام، والحق أن حروف الجر إنما هي عشرون كما ذكر الناظم"[2].

3- وظائفها النحوية والدلالية

قبل حديثنا عن وظائف حروف الجر بشكل خاص نورد هاهنا كلاما لابن يعيش يبين فيه دواعي المجيء بحروف المعاني عامة فيقول "فإن قيل ولِم جيء بالحروف وما كانت الحاجة إليها فالجواب: أن حروف المعاني جُمَعَ جيء بها نيابة عن الجمل ومفيدة معناها من الإيجاز والاختصار، فحروف العطف جيء بها عوضا عن أعطف، وحروف الاستفهام جيء بها عوضا عن أستفهم، وحروف النفي إنما جاءت عوضا عن أنفي، وحروف الاستثناء جاءت عوضا عن أستثني أو (لا أعني)، وكذلك لام التعريف نابت عن أعرِّف، التنوين ناب عن خَفَّ، وحروف الجر جاءت نائبة عن الأفعال التي هي بمعناها، فالباء نابت عن ألصِق، والكاف نابت عن أشَبِّه، وكذلك سائر الحروف، ولذلك من المعنى لا يحسن حذف حروف المعاني كحروف الجر ونحوها لأن الغرض منها الاختصار، واختصار المختصر إجحاف"[3].

---

(1) الألفية لابن مالك ص 64

(2) حاشية ابن حمدون على المكودي شرح الألفية ج1 ص 306

(3) شرح المفصل لابن يعيش ج 8 ص 7

ولبيان وظائف حروف الجر لا بد من التعريج على أقسامها من حيث استعمالها أصلية وغير أصلية، وذلك لاختلاف الوظائف الدلالية والمعنوية تبعا لكل قسم.

قسم النحاة حروف الجر من حيث أصالتها وعدمها ثلاثة أقسام: حروف أصلية – وماقد يشبهها – وحروف زائدة، وحروف شبيهة بالزائدة[1]:

فأما الحرف الأصلي الخالص – وشبهه[2] – فهو كل الحروف التي أوردها ابن مالك، إلا أربعة: "من" و"اللام" و"الباء" و"الكاف"، فهذه الأربعة تستعمل أصلية حينا وزائدة حينا آخر، وإلا "لعل" و"رب" فإنهما حرفا جر شبيهان بالزائد، وكذا "لولا" في رأي، ومن النحاة من يجعل "خلا" و"عدا" و"حاشا" من حروف الجر الشبيهة بالزائدة[3].

أما عن الوظيفة النحوية اللفظية لهذه الأقسام الثلاثة فهي جر الأسماء بعدها، فهذا الأثر الإعرابي هو عملها، والذي من أجله تسمت بحروف الجر كما مر سابقا.

أما وظائفها المعنوية فتختلف حسب كل قسم.

1- الوظيفة الدلالية لحرف الجر الأصلي:

إن حرف الجر الأصلي مع مجروره يقومان بمهمة مشتركة مزدوجة، كانت السبب القوي في مجيئهما وهي إتمام معنى عاملهما، واستكمال بعض نقصه بما يجلبانه معهما من معنى فرعي جديد.

وأحدهما وهو (حرف الجر الأصلي) يقوم بمنزلة الوسيط الذي يصل بين العامل والاسم المجرور، فيحمل معنى الأول إلى الثاني، ويجعل عامله اللازم متعديا حكما وتقديرا، ويعبر النحاة عن كل هذا تعبيرا اصطلاحيا هو أن الجار الأصلي – وشبهه- مع مجروره متعلقان بالعامل حتما "... كما نفهم أيضا ما يقولونه من أن الاسم المجرور بالحرف الأصلي

---

(1) النحو الوافي لعباس حسن ج 2 ص 434

(2) حرف الجر الشبيه بالأصلي هو لام الجر الزائدة زيادة غير محضة (النحو الوافي ج 2 ص 435)

(3) النحو الوافي ج 2 ص 449

– وشبهه– هو بمنزلة (المفعول به) لذلك العامل لوقوع معنى العامل عليه، كما يقع على المفعول به الحقيقي"[1].

فالواجب يقتضي في كل الأحوال أن نبحث لحرف الجر الأصلي مع مجروره عن العامل المناسب لهما، ولاسيما إذا تعددت حروف الجر ومجروراتها، وتعددت معها الأفعال وأشباهها، وأن نميزه ونستخلصه من غير المناسب، ولا نتأثر في اختياره بقربه من الجار والمجرور، أو بعده عنهما، أو تقدمه عليهما أو تأخره أو ذكره أو حذفه، وإنما نتأثر بشيء واحد هو ما يكون بين العامل وبينهما من ارتباط معنوي يحتم اتصالهما به بطريقة تعلقهما به"[2].

وتعد مسألة التعلق هذه من بين أسباب وقوع الاختلاف بين معربي القرآن والمفسرين في تحديد معنى الآي، فإن من حروف الجر ما يحتمل التعلق بعاملين أو ثلاثة أو أكثر حسب تنوع العوامل ومثال ذلك ما أورده الزركشي في البرهان عند قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[3] قال "وقوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ قال الشيخ عز الدين: الأحسن الوقف على "إليكما" لأن إضافة الغلبة إلى الآيات، أولى من إضافة عدم الوصول إليها، لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها، وقد غلبوا بها السحرة ولم تمنع عنهم فرعون"[4]. وهذا مرده إلى تنوع المتعلَّق به عند الوقف على أحد الموضعين، فإذا علقت ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بـ ﴿يَصِلُونَ﴾ كان المعنى أنهم لا يصلون إلى موسى وهارون بسبب الآيات. وإذا علقت ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بـ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ كان المعنى أنهم غالبون بالآيات التي هي معجزات كليم الله عليه السلام.

---

(1) النحو الوافي ج 2 ص 438

(2) نفسه ج2 ص 444

(3) القصص الآية 35

(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج 1 ص 345

وسنورد في الشق التطبيقي من هذا البحث بحول الله أمثلة أخرى من هذا القبيل، حيث سيتضح أثر تحديد المتعلَّق به في اختلاف دلالات الآيات وهو ما سيُتَّخذ من بين المرجحات بين أقوال المفسرين والمعربين.

2- الوظيفة الدلالية لحرف الجر الزائد:

يجر هذا الحرف الزائد زيادة محضة الاسم بعده لفظا، ويكون له مع ذلك محل من الإعراب، ثم هو لا يجلب معنى جديدا، وإنما يؤكد ويقوي المعنى العام في الجملة كلها،.. سواء أكان المعنى العام إيجابا أم سلبا، ولهذا لا يحتاج إلى شيء يتعلق به، ولا يتأثر المعنى الأصلي بحذفه نحو ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] بمعنى (يكفي الله شهيدا) ومثل (ليس من خالق إلا الله) أي ليس خالق إلا الله[2].

"وإنما لم يتعلق الجار الزائد مع مجروره بعامل لأن التعلق والزيادة متعارضتان، إذ الداعي للتعلق هو الارتباط المعنوي بين عامل عاجز، ناقص المعنى واسم يكمل هذا النقص ولا يصل إليه أثر ذلك العامل إلا بمساعدة حرف جر أصلي – وشبهه-، أما الزائد فلا يدخل الكلام ليعين على الإكمال وإيصال الأثر من العامل العاجز إلى الاسم المجرور، وإنما يدخل الكلام لتأكيد معناه القائم وتقويته كله لا للربط"[3].

ومسألة زيادة الحروف في القرآن الكريم من مهمات المسائل التي شغلت المفسرين والمعربين والنحويين والأصوليين وغيرهم، وقد كانت موضع مناقشة عند مختلف طوائفهم، ولو تتبعنا آراءهم لوجدناهم منقسمين بين مثبت لها وناف، يقول الزركشي "والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ويسمونه التأكيد. ومنهم من يسميه بالصلة ومنهم من يسميه المقحم"[4]. ويرى الزركشي أنه من الأولى ترك إطلاق لفظة الزيادة في كتاب الله

---

(1) الرعد 43

(2) النحو الوافي ج2 ص450

(3) نفسه ج2 ص 451

(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج3 ص 70

قال "واعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين والصلة والحشو من عبارة الكوفيين قال سيبويه عقب قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[1]: إن [ما] لغو لأنها لم تحدث شيئا. والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى فإن قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[2] معناه: (ما لنت لهم إلا رحمة) وهذا قد جمع نفيا وإثباتا ثم اختصر على هذه الإرادة وجمع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي (ما)"[3]. ويضيف مبينا سبب ورود هذه الصلات في القرآن يقول "وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى؟ فقال: هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف قال ومثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعا فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال: أجد نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه"[4].

وسيكون لنا مزيد تفصيل حول هذه الحروف التي يقولون عنها زائدة، وذلك عند إيراد أقوال المفسرين والمعربين في الشق التطبيقي من هذا البحث.

نشير إلى أن عدة الحروف التي وقع الخلاف حول زيادتها سبعة وهي كما قال الزركشي "إنْ وأنْ ولا وما ومن والباء واللام بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة لا أنها لازمة للزيادة، ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها فقد زادوا الكاف وغيرها بل المراد أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها"[5].

---

(1) النساء الآية 154

(2) آل عمران الآية 159

(3) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج3 ص 72

(4) نفسه ج3 ص 74

(5) نفسه ج 3 ص 75

3- الوظيفة الدلالية لحرف الجر الشبيه بالزائد :

هو من حيث العمل "يجر الاسم بعده لفظا، ويكون له مع ذلك محل من الإعراب، فهو كالزائد في هذا" ثم هو من حيث الدلالة "يفيد الجملة معنى جديدا مستقلا، لا معنى فرعيا مكملا لمعنى موجود، ولهذا لا يصح حذفه.. لكنه لا يحتاج – مع مجروره- لشيء يتعلق به لأن هذا الحرف الشبيه بالزائد لا يستخدم وسيلة للربط بين عامل عاجز ناقص المعنى، واسم آخر يتمم معناه"[1].

وفيما يلي جدول يوضح وظائف هذه الأقسام الثلاثة ويلخص أوجه المشابهة والمخالفة بينها[2]

نوع الحرف	الأحكام الخاصة بكل نوع (الوظيفة النحوية والمعنوية)			
1- حرف الجر الأصلي وشبهه	يأتي بمعنى جديد يكمل معنى عامله	يجر الاسم بعده لفظا فقط	لا يكون للمجرور محل إعرابي آخر	يحتاج مع مجروره لمتعلَّق (عامل يتعلق به)
2- حرف الجر الزائد زيادة محضة	لا يأتي بمعنى جديد، إنما يؤكد معنى الجملة	يجر الاسم بعده لفظا	يكون للمجرور محل إعرابي آخر مع ذلك الجر اللفظي	لا يحتاج مع مجروره لمتعلَّق
3- حرف الجر الشبيه بالزائد	يأتي بمعنى جديد مستقل	يجر الاسم بعده لفظا	يكون للمجرور محل إعرابي آخر مع ذلك الجر اللفظي	لا يحتاج مع مجروره لمتعلَّق

---

(1) النحو الوافي ج2 ص 452

(2) نفسه ج2 ص 454

4 - التضمين والنيابة في حروف الجر

اختلف النحاة في نيابة بعض الحروف عن بعضها، فذهب فريق إلى القول بالتناوب كما فعل الكوفيون والنحاة المتأخرون زمنا. ومنعه بعضهم الآخر كما فعل جمهور البصريين، الذين قالوا بـ (التضمين). وقد لخص ابن هشام هذين الموقفين المتعارضين بقوله "مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل في ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[1]، إن "في" ليست بمعنى "على" ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضَمَّنَ بعضهم شَرِبْنَ في قوله: (شربن بماء البحر...) معنى رَوِين، وأحسنَ في ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾[2] معنى (لطف) وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين ولا يجعلون ذلك شاذا ومذهبهم أقل تعسفا"[3].

ويعرف ابن جني التضمين بقوله "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد، مع ما هو في معناه، وذلك كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[4] انت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها، أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت بـ "إلى" جئت بـ "إلى" مع الرفث، إيذاناً بأنه بمعناه"[5].

---

(1) طه الآية 70

(2) يوسف الآية 100

(3) مغني اللبيب لابن هشام ج2 ص 179

(4) البقرة الآية 186

(5) الخصائص لابن جني ج 2 ص 308

وإذا كان لنا أن نقف مع أحد الرأيين فإننا نرجح باطمئنان رأي البصريين والمحققين من النحاة القائلين بالتضمين، "ذلك أن كل حرف قيل فيه بأنه يعاقب حرفا في معناه فهو داخل في التضمين"[1] وهذا هو المتفق مع فصاحة اللغة وروعتها في الإيجاز والاختصار وكذا دقة ألفاظ القرآن وسمو بيانه المعجز وأسراره البلاغية. "ثم إن القول بالتضمين أعرق في البلاغة من القول بتعاقب الحروف، لأنه يبقى سؤال لمن يقول بتعاقب الحروف، وهو أن المتكلم ما ترك المعنى الظاهر إلى هذا المعنى إلا لسبب، خصوصا إذا علم أن النص يستقيم بالحرف الذي يزعم فيه التعاقب.. لكن لما ترك هذا الظاهر واختير حرف آخر لا يتناسب مع الفعل أو شبيهه، فإن ذلك قد دل على إرادة معنى يحتاج إلى تحرير و تنقيب، وهو ما ذهب إليه من قال بالتضمين"[2].

وفيما يلي نورد رأي بعض العلماء من المفسرين والنحويين القائلين بالتضمين حسب ترتيبهم الزمني:

1- قال شيخ المفسرين الطبري (310 هـ) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾[3] "وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع (إلى) غيرها لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.وهذا القول عندي أولى بالصواب، لأن لكل حرف من حروف المعاني وجهاً هو به أولى من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها. ولـ (إلى) في كل موضع دخلت من الكلام حكم، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها"[4].

2- قال ابن جني (392هـ) في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض "هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً وما أبعد الصواب عنه، وذلك أنهم يقولون: إن "إلى" تكون بمعنى "مع"،

---

(1) شرح مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير لمساعد الطيار ص 120

(2) المصدر والصفحة نفسها

(3) البقرة الآية 14

(4) جامع البيان، تفسير الطبري ج 1 ص 299

ويحتجون بقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] ويقولون: "في" تكون بمعنى "على"، كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[2]. وغير ذلك. ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الحال الداعية إليه. فأما في كل موضع فلا. ألا ترى أنك إذا أخذت بظاهر هذا القول لزمك أن تقول عليه: سرت إلى زيد، وأنت تريد معه، وأن تقول: زيد في الفرس وأنت تريد عليه، وزيد في عمرو، وأنت تريد عليه العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد عنه، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش، ولكن نضع في ذلك رسماً يعمل عليه"[3].

ونشير هنا إلى أن ابن جني يقر بعدم انضباط التضمين في كل موضع وأنه لا يمكن تخريج جميع الكلام بالمصير إليه وإلا فهو التعسف الذي جاء في كلام ابن هشام السابق في قوله عن مذهب الكوفيين، إنه أقل تعسفاً. ويضيف ابن جني مؤكدا على وقوع التضمين في كلام الله وكلام العرب "ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيرا، لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره، لجاء كتاباً ضخماً. وقد عرفت طريقه، فإذا مر بك شيء منه، فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف حسن، يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها"[4].

3- وقال أبو هلال العسكري (395 هـ) "ولهذا المعنى أيضا قال المحققون من أهل العربية إن حروف الجر لا تتعاقب حتى قال ابن درستويه في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس. قال أبو هلال رحمه الله: وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد منهما بمعنى الآخر

(1) آل عمران الآية 51

(2) طه الآية 70

(3) الخصائص لابن جني ج 2 ص 306

(4) نفسه، ج 2 ص 310

فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني[1].

4- وهذا ابن العربي المالكي الإشبيلي (543 هـ) ينتصر للتضمين بشدة ويجهل القائلين بالنيابة في الحروف فيقول: "وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجّوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال[2].

5- وقال ابن تيمية (728 هـ) في مجموع الفتاوى "والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[3] أي مع نعاجه و ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي مع الله ونحو ذلك والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه وكذلك قوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[4] ضمن معنى يزيغونك ويصدونك، وكذلك قوله: ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾[5] ضمن معنى نجيناه وخلصناه

---

(1) الفروق اللغوية للعسكري ص 24

(2) أحكام القرآن لابن العربي ج 1 ص 243 (الأية 226 من سورة البقرة المسألة الثالثة)

(3) سورة "ص" الآية 23

(4) الإسراء الآية 73

(5) الأنبياء الآية 76

وكذلك قوله ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[1] ضمن يروى بها ونظائره كثيرة[2].

– وقال ابن تيمية أيضا (وليس في القرآن لفظ إلا مقرون بما يبين به المراد، ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره، فإذا قال القائل: "يشرب بها" أن "الباء" زائدة، كان من قبله[3] علمه، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى. فإذا قيل "يشرب منها" لم يدل على الري، وإذا ضمن معنى الري فقيل "يشرب بها" كان دليلا على الشرب الذي يحصل به الري، وهذا شرب خاص دل عليه لفظ الباء[4].

6- أما المرادي (749 هـ) فقد ذكر أسماء علماء آخرين تبنوا القول بالتضمين وذلك عند حديثه عن حرف الجر "من" يقول "ولم يثبت أكثر النحويين لـ"من" جميع هذه المعاني. وتأولوا كثيراً من ذلك على التضمين، أو غيره. وقد ذهب المبرد، وابن السراج، والأخفش الأصغر، وطائفة من الحذاق، والسهيلي، إلى أنها لا تكون إلا لابتداء الغاية، وأن سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى[5].

7- ويقول ابن قيِّم الجَوْزِيَّة (ت 751هـ) "الفعل المُعدَّى بالحروف المتعددة، لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على الحرف الآخر. وهذا بحسَب اختلاف معاني الحروف. فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبتُ فيه ورغبتُ عنه، وعَدَلْتُ إليه وعنه، ومِلْتُ إليه وعنه، وسعيتُ إليه وبه، وإن تقاربت معاني الأدوات عَسُرَ الفرق، نحو: قصدتُ إليه وله، وهديتُ إلى كذا ولكذا. وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر. وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنىً مع الحرف، ومعنىً مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيُشْربون الفعلَ المتعدي به معناه. هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه، رحمه

---

[1] الإنسان الآية 6

[2] مقدمة التفسير لابن تيمية شرح الطيار ص 69

[3] هكذا جاءت في مجموعة الفتاوى و لعلها : من قبل علمه.

[4] مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج 20 ص 257

[5] الجنى الداني للمرادي ص 315

الله تعالى، وطريقة حُذّاق أصحابه، يُضمِّنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن.... وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها.. والفرق بين هذه المواضع تدق جداً عن أفهام العلماء، ولكن نذكر قاعدة تشير إلى الفرق وهي أن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن لا يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف"[1].

ولنا أن نتأمل بعد سرد هذه الآراء نوع النعوت والأوصاف التي جاءت على لسان هؤلاء الأعلام والتي تسم القائلين بالتضمين بمثل "المحققين والحذاق وفقهاء العربية". في حين تنعت من يرى النيابة في الحروف بمثل "غلط وجهل وخفي عليه وقصَّر وأوتي من قبل علمه ومن لا يتحقق المعاني.." وكل ذلك يدل على دقة مسألة التضمين والنيابة في الحروف، وسيتضح ذلك جليا في الدراسة التطبيقية من البحث، حيث تنوعت توجيهات المفسرين لمعاني الآيات تبعا لتبنيهم أحد الموقفين فكان ذلك من بين أسباب اختلافهم. ومنه فإن استعمال حرف مكان حرف وتخريجه على التضمين أو النيابة وأثر هذا في تغير الدلالات والمعاني التي تحتملها الآية هو من بين أهم موضوعات هذا البحث. وسيكون هذا التضمين المنضبط من بين المرجحات التي سأعتمدها في اختيار القول الأرجح من أقوال المفسرين والمعربين لآيات سورة الأعراف.

---

[1] بدائع الفوائد لابن القيم ج 2 ص 423

ثالثا: قضايا النظم وحروف الجر

1- التعليق وحروف الجر

أ- مفهوم التعليق وطرقه

جاء في لسان العرب "علق الشيء علقا وعلقه نشب فيه، وهو عالق به، أي نشب فيه وعلق الشيء علقا وعلق به علاقة وعلوقا لزمه"[1].

أما في الاصطلاح النحوي فنسجل مستويين للتعليق: عام وخاص.

فالتعليق بالمفهوم العام، وهو الذي لهج الجرجاني بذكره في دلائله، وجعله محصول النظم، هو ما تمثله المتعلّقات[2] التي تُذكر بعد تمام الإسناد وذِكر ركنيه المسند والمسند إليه، والتي تأتي مكملات للمعنى المعبر عنه بأصل الجملة، ولكل منها وظيفة نحوية تؤديها في الكلام (كالتوكيد بالنسبة للمفعول المطلق أو التعليل للمفعول لأجله وغيرهما).

يقول عنه عبد القاهر " واعلمْ أنك إذا رجعتَ إلى نفسِك علمتَ علْماً لا يعترضُه الشكُّ، أنْ لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ، وَيُبْنى بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يَجهلُه عاقلٌ ولا يَخْفَى على أحدٍ منَ الناس. وإذا كانَ كذلك، فبِنا أنْ نَنْظر إلى التَّعليق فيها والبناءِ، وجعْلِ الواحدةِ منها بسببٍ من صاحِبَتِها، ما معناهُ وما مَحْصولُه؟ وإذا نَظَرْنا في ذلك، عَلمْنا أنْ لا محصولَ لها غيرُ أنْ تَعْمدَ إلى اسمٍ فتَجْعلَه فاعلاً لفعلٍ أو مفعولاً، أو تَعْمَدَ إلى اسمَيْن فتَجْعلَ أحدَهما خبراً عنِ الآخر أو تُتْبعَ الاسمَ اسماً على أن يكونَ الثاني صفة للأول، أو تأكيد له، أو بدلاً منه أو تَجيءَ باسمٍ بَعْد تمامِ كلامكَ على أن يكونَ الثاني صفةً أو حالاً أو تمييزا أوْ تتوخّى في كلامٍ هو لإِثباتِ معنى، أن يصَير نفْياً أو استفهاماً أو تمنياً، فتُدخِلَ عليه الحروفَ الموضوعةَ لذلك أوْ تُريد في

---

[1] اللسان ج10 ص 261. مادة "علق"

[2] اللام في متعلقات يحتمل أن تكون مكسورة وهو أحسن؛ لأن المفاعيل وما الحق بها معمولة، وكون المعمول لضعفه متعلقا بالكسر أنسب؛ لأن المتعلِق هو المتشبث بالشيء وهو أضعف من المتشبّث به ويصح الفتح. مواهب الفتاح ابن يعقوب ضمن شروح التلخيص ج 2 ص 119

فعلينِ أن تَجعل أحدَهما شَرْطاً في الآخر، فتجيءَ بهما بعدَ الحرفِ الموضوع لهذا المعنى، أو بَعْد اسمٍ منَ الأسماءِ التي ضَمِنَتْ معنى ذلكَ الحرفِ، وعلى هذا القياس"[1].

ويقدم تمام حسان كلاما هو كالشرح لما ذكره الجرجاني فيقول "يتأسس التعليق على ترتيب المفردات بحسب الأصول المرعية في تركيب النمط، كما تكون مترابطة واضحة الانتماء؛ بحيث نعلم الفاعل لأي فعل هو، والجار والمجرور لأي متعلَّق، والضمير لأي مرجع، وهكذا مما يعبر عنه بالعلاقات السياقية. هذه العلاقات معروفة محصورة العدد؛ لأنها ذات أسماء تدل عليها كالإسناد والتعدية والغائية والمصاحبة والإخراج والتفسير والتبعية والملابسة... وهي التي إما أن تتحقق في السياق، وإما أن يقع السياق في الفوضى"[2].

وقد وصل الشيخ إلى قاعدة عامة، وقانون كلي في طرق التعليق فيما بين الكلم من علاقات، طبقا لمعاني النحو وأحكامه. وعنده أن طرق التعليق لا تعدو ثلاثة فالكلام: اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها ثلاث طرق معلومة:

1- تعلق اسم باسم.
2- تعلق اسم بفعل.
3- تعلق حرف بهما.

ب-وظيفة التعليق

من خلال ما سبق تتضح لنا وظيفة التعليق، ومن ثمرات هذه الوظيفة: الكشف عن الوجه الأصوب للإعراب، وهذه من أهم الأسس المؤكّدة لدى المفسرين، ومعربي القرآن، يقول ابن القيم موضحا أن مراعاة المعنى واختيار الوجه الإعرابي الأنسب أصل من أصول التفسير "وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل، ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما

---

(1) الدلائل، ص 55

(2) تمام حسان، البيان في روائع القرآن ، ص 108

يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر، وكلام آخر فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن... فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي. فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضُعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه... فهذا أصل من أصول التفسير، بل هو أهم أصوله"[1].

وهذا عَيْن ما دعا إليه الجرجاني، في دعوته إلى تحري الوجه الأوفق للسياق، وأخص من التعليق بين الفعل ومفعولاته والاسم ومعمولاته، نجد تعلق شبه الجملة الجار والمجرور والظرف، وقد ذكره عبد القاهر في متونه النحوية. فتعلق شبه الجملة هو الارتباط المعنوي بالحدث؛ أي أنها جزء منه لا يظهر معناها إلا به، ولا يكتمل معناه إلا بها؛ لأن شبه الجملة ترد تكملة للحدث الذي تقيده فيتم معناهما بهذا التعلق.

2- النظم وحروف الجر

أشار الجرجاني عند تحليل هذا البيت

أخَذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا وسالتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ [2]

---

(1) ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج3 ص 27

(2) أورد الشيخ عجز البيت دون الصدر . وذكر في الأسرار بيتين قبله هي التي كانت مدار كلام النقاد. ولم ينسبها لقائل والأبيات الثلاثة من البحر الطويل و هي

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنَى كُلَّ حَاجةٍ. ..ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ

وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا. ..ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ

أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا. ..وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

وذكر العباسي أن قَائِله كثير عزة من قصيدة من الطَّوِيل..وَقيل الأبيات لِابْنِ الطثرية وقيل للمضرب وَهُوَ عقبَة بن كَعْب بن زُهَيْر بن أبي سلمى. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ج1 ص 181

إلى ثناء من سبقوه عليه، ثم قدم رأيه في مكامن وأسباب جماله، مستحضرا عند تحليله كل مستويات اللغة، بحيث ناقش حسنه من جهة الصور البلاغية ومن ناحية التراكيب النحوية. وخلُص في الأخير إلى أن سر هذا البراعة فيه إنما هو في "النظم"؛ بحيث جاء اختيار الألفاظ وترتيبها مناسبا وموافقا لترتيب المعاني، فصارت قيمة الأبيات في حسن تأليفها ونظمها. وأبرز مظهر تحدث عنه عبد القاهر في البيت هو تناسب حرف الجر الباء مع سابقه ولاحقه.

ومن هنا ندرك أهمية الحروف في نظم الكلام واهتمام عبد القاهر بمعانيها في السياق، ودعوته إلى الانتباه الى الفروق الدقيقة فيما بينها. وقد أكد في مواضع من الدلائل على أن لهذه "الوحدات دورها الصرفي وأثرها في التركيب اللغوي، وفقا لموقعها المرتبط بمقام استعمالها"[1] ومن ذلك قوله "وينظرَ في "الحروف" التي تَشْتَرِكُ في معنىً، ثم يَنفردُ كلٌّ واحدٍ منها بخصوصيةٍ في ذلك المعنى، فيضع كلًا من ذلك ي خاصٌ معناهُ،..فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعملَه على الصِّحة وعَلَى ما ينبغي له"[2].

ودعا في موضع آخر إلى عدم التوقف على حدود ما يقرره بعض النحاة، عندما يقتصرون على عمل هذه الأدوات أو معانيها في ذواتها، وشدد على حسن تخير الحروف وهو أمر أساس في نظرية النظم لديه. يقول الشيخ "فليس الفضْلُ للعلم بأنَّ "الواو" للجمع، و"الفاء" للتعقيب بغير تَراخٍ، و"ثم" له بشرطِ التَراخي، و"إنْ" لكذا و"إذا" لكذا، ولكنْ لأنْ يتأتَّى لكَ إِذا نظَمْتَ شعراً وألَّفتَ رسالةً أنْ تُحْسِنَ التخيُّرَ، وأن تَعْرِفَ لكلٍّ مِنْ ذلك مَوضِعَه"[3].

---

(1) عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، للبدراوي زهران، ص 110

(2) الدلائل، ص 82

(3) نفسه، 250.

3- حروف الجر من صور التداخل بين علمي النحو والمعاني

يدرس علم المعاني الجانب المتعلق بالمعنى الوظيفي للجملة العربية، وأنه بهذه المثابة يعتبر مكملا للنحو العربي الذي يدرس وظائف المفردات في الجملة[1].

والمقصود بالمعاني في مصطلح علم المعاني هي الخصائص واللطائف التي تفيدها التراكيب في الكلام البليغ.

وعرف العلماء علم المعاني تعريفا ميزه عن غيره من العلوم تمييزا لا يلتبس بها، وهو قولهم "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[2] ومرادهم بأحوال اللفظ التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحذف والذكر وغيرها.

ولا يعني وجود الفروق بين العلمين، أن هناك إلزاما للنحاة بعدم تجاوز مجال اشتغالهم، والمتمثل في الحصر، والاستيعاب، والتقسيم، والتبويب، وإلزامهم بعدم الاهتمام بما هو دلالي، فهذا غير وارد البتة، فقد امتد عملهم في كثير من القضايا إلى ما هو معنوي محض.

وجدير بالتنبيه إلى أننا لا نعني بذلك النحاة المتقدمين، فهم كما سبق تشابكت لديهم مواضيع العلمين قبل الفصل والتمييز، وإنما نقصد ما آلت إليه موضوعات النحو لدى المتأخرين وأقرته صناعتهم النحوية، حيث نجد في هذه المباحث، وإن عُدّت من صميم علم النحو، ما يتداخل مع اختصاص البلاغي.

ولعل من أهم صور التداخل بين علم النحو وعلم المعاني، مباحث حروف المعاني، وخاصة حروف الجر، فقد اهتم النحاة بقضاياها ومباحثها، ولم يكتفوا بالتنصيص على وظائفها النحوية، بل تعدوا إلى إيراد دلالاتها، وعرضوا لكثير من قضاياها المتعلقة بالمعنى، كالتضمين والتعلق والزيادة وغيرها.

---

(1) الأصول لتمام حسان ص 343

(2) الإيضاح، للقزويني ج1 ص 52

القسم التطبيقي

الباب الأول

حروف الجر الأحادية ومعانيها في سورة الأعراف

تمهيد:

1- مفهوم الدلالة لدى العلماء

شاع مصطلح الدلالة لدى المحدثين وهو نفسه ما يعنيه مصطلح "المعنى" عند القدماء، وسنورد مفهومي اللفظين، لغة واصطلاحا،

أ-مفهوم المعنى

**- عرّف ابن فارس المعنى لغة فقال "العين والنون والحرف المعتل أصولٌ ثلاثة: الأوّل القَصْد للشيء بانكماشٍ فيه وحِرْصٍ عليه، والثاني: دالٌّ على خُضوع وذُلّ، والثالث: ظهورُ شيء وبروزُه"[1].

وقال الكفوي "المعنى مَفعَل كما هو الظاهر من عنى يعني، إذا قصد المقصد، وإما مخفف معني بالتشديد اسم مفعول منه أي المقصود"[2].

**- وأردف التهانوي موضحا دلالته في الاصطلاح فقال "هي الصورة الذهنية إذا وقع بإزائها اللفظ من حيث إنها تقصد منه، وذلك ما يكون بالوضع، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفردا، وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركبا"[3]، وأضاف صاحب التعريفات "هي الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما"[4].

---

(1) مقاييس اللغة ، ج4 ص 146 مادة (دل)

(2) الكليات، ص 841

(3) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ، ج2 ص 1600

(4) التعريفات، للشريف الجرجاني، ص 220

ب-مفهوم الدلالة

** أورد ابن فارس في المقاييس التعريف اللغوي للدلالة فقال "في الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة"[1].

وقال الراغب في مفرداته "الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾[2] وأصل الدّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمّى الدّالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره"[3].

** أما اصطلاحا: فحدّها العلماء بتعريفات كثيرة بحسب تصوراتهم واهتماماتهم ومنطلقاتهم العلمية والمعرفية، وهذه التعريفات على تعدد مصادرها تُكمِّل بعضها بعضا.

فالدلالة بمفهومها العام، كما يعرفها المناطقة والأصوليون: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[4].

أما الدلالة عند اللغويين فهي المسماة لدى غيرهم بالدلالة اللفظية الوضعية، وهي "كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه، للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة، والتضمن، والالتزام؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام كالإنسان، فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام"[5].

---

(1) مقاييس اللغة ، ج2 ص 259 مادة (دل)

(2) سورة سبأ الآية 14

(3) مفردات ألفاظ القرآن، ج1 ص 228.مادة (دل)

(4) التعريفات، ص 91

(5) نفسه ص92

وقد اهتم النحاة بقضايا علم الدلالة، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام في "المغني" حين قال "من الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، أنْ يراعيَ ما يقتضيه ظاهرُ الصّناعة، ولا يراعي المعنى، إذ كثيراً ما تزلُ الأقدام بسبب ذلك"[1].

كما اهتم المفسرون وأصحاب معاني القرآن بمسائلها واشترطوا للتفسير معرفة علوم هي من صميم الدراسات الدلالية كدلالة السياق وأسباب النزول. وظهرت في وقت مبكر ضمن الدراسات القرآنية مؤلفات تعنى بالمعاني الإفرادية أو التركيبية ككتب الغريب وكتب معاني القرآن وإعرابه..

ولعل أبين مظهر لاهتمامهم بالعنصر الدلالي هو اختيارهم المعنى الأنسب والأوفق حين تتعدد الاحتمالات النحوية للآية الواحدة.

2- مفهوم التوجيه الإعرابي وأسباب الاختلاف فيه

يجدر بنا قبل الولوج إلى الشق التطبيقي من هذا البحث أن نوجز الحديث عن مفهوم التوجيه الإعرابي وأسباب تعدده.

التوجيه مصدر الفعل (وجَّه)، والأصل وجُه. يقول ابن فارس "الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيء. والوجه مستقبِلٌ لكلِّ شيء...والوِجهة كلُّ موضعٍ استقبلتَه.. والتَّوجيه أن تَحفِر تحت القِثَّاءَة أو البِطِّيخة ثم تُضجِعَها"[2].

ويقول ابن منظور "ويقال: هذا وَجْهُ الرأيِ أي هو الرأيُ نَفْسُه.ووَجْهُ الكلام: السبيلُ الذي تقصده به. ويقال: وَجَّهَتِ الريحُ الحصى تَوْجِيهاً وشيءٌ مُوَجَّهٌ إذا جُعِلَ على جِهَةٍ واحدة لا يختلف"[3].

وقد اقترن هذا المصطلح كثيرا بالقراءات القرآنية المتواترة والشاذة، وأصبح علما مستقلا يهتم ببيان وجوه القراءات من حيث اللغة والإعراب والمعنى، يقول عنه الزركشي:

---

(1) مغني اللبيب ، ج 6 ، ص7

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج 6 ص 88 (مادة : وجه)

(3) لسان العرب لابن منظور ج 6 ص 4775

"هو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به، وأفردوا فيه كتبا منها كتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي، وكتاب (الكشف) لمكي، وكتاب (الهداية) للمهدوي... وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحا"[1].

أما التوجيه النحوي "فلم يرد له حد واضح عند النحاة، وغاية ماذكروا له، أن يكون للكلام وجهان فصاعدا. إلا أن استعمال الوجه والأوجه عندهم كثير، فقد ذكر سيبويه الوجهين وقصد به أن يكون للفظ إعراب واحد ولكن من جهنين، قال "وقد يجوز في هذا أن تقول: هو الحسن الوجه على قوله: هو الضارب الرجل، فالجر في هذا الباب من وجهين، من الباب الذي هو له، وهو الإضافة، ومن إعمال الفعل ثم يستخف فيضاف"[2]. ويتضح أن الوجه والأوجه الإعرابية يراد بها عند متقدمي النحاة المعنى ويراد بها، الإعراب، إلا أن الأكثر أن يستعمل في الأوجه الإعرابية"[3].

أما ثمرة هذا النوع من النشاط اللغوي فتعود إلى النص المعرَب، وذلك باستخدام التحليل النحوي وبيان الوظيفة النحوية لأجزائه؛ لتنكشف بذلك معاني السياقات والتركيبات في هذا النص. وتزداد أهمية هذا النشاط وتشرف مكانته إذا كان متجها إلى القرآن الكريم، إذ هو ضروري لمن يريد فهم معانيه، ويلخص مكي بن أبي طالب هذه الأهمية فيقول "ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارىء إليه محتاج، معرفة إعرابه والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه، ليكون بذلك سالما من اللحن فيه، مستعينا على إحكام اللفظ به، مطلعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد"[4].

---

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج 1 ص 342

(2) الكتاب لسيبويه ج 1 ص 201

(3) التوجيه النحوي وأثره في دلالة الحديث النبوي لنشأت عبد الرحمن ص 26

(4) مشكل إعراب القران لمكي بن ابي طالب القيسي ج 1 ص 101

وإن المتتبع للتوجيهات الإعرابية لآيات القرآن الكريم يجدها على نوعين:

النوع الأول: توجيهات واضحة بينة لا تحتمل تعددا ولا اختلافا.

النوع الثاني: توجيهات متعددة يحتملها النص القرآني الواحد، فكانت موضع اختلاف بين المعربين في اختيار الأوفق مع مقتضى الآية القرآنية.

ويمكن إرجاع هذا الاختلاف إلى أسباب متعددة وهي على سبيل الإيجاز:

1- احتمال السياق القرآني لأكثر من معنى، فيحاول كل معرب أن يصل بالإعراب إلى المعنى الذي يتوافق والمقتضيات الأخرى.

2- الاختلاف في أصل القاعدة النحوية، وذلك أن الإعراب وجه تطبيقي للدرس النحوي، فما كان من خلاف تقعيدي بين النحويين حول ظاهرة من الظواهر فإنه - ولا شك - سينسحب على التوجيه الإعرابي، وهذا كثير جدا وأمثلته لا تعد.

3- مخالفة ظاهر الآية في تركيبها للقاعدة النحوية، وحينئذ يكون باب الاجتهاد مشرعا أمام المعربين لرد هذه الظاهرة إلى القاعدة النحوية، أو تحويلها إلى قاعدة أخرى في باب آخر.

4- خفاء الحركة الإعرابية على الكلمة إما لبنائها أو لتعذر ظهورها، وحينئذ يتحتم الانتقال من التركيب إلى دلالة السياق والمرجحات الأخرى[1].

5- الخلفيات المسبقة التي يصطحبها المعرب معه قبل الدخول في إعراب آية فتكون مؤثرة في توجيهه واختياره، وأهمها الخلفيات العقدية أو الفقهية التي تحتم عليه أن يصرف دلالة الآية إعرابيا لنصرة معتقده أو مذهبه الفقهي ولو كان على وجه بعيد ومتكلف.

6- الاشتراك في دلالة بعض الألفاظ، وخاصة في بعض الصيغ وحروف المعاني، مما يجعلها تحتمل أكثر من وجه إعرابي، حيث لا يخفى أن معرفة معاني الحروف جزء أساس في علم الإعراب[2].

وهذا الأخير هو مدار البحث في هذه الرسالة، أسأل الله العون والتوفيق.

---

(1) كالقرينة الشرعية ومنها تفسير القرآن بالقرآن أو بالحديث الصحيح أو بمعرفة أسباب النزول و غيرها

(2) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لمحمد السيف ج1 ص 80

الفصل الأول

حرف الباء

1- المبحث الأول: معاني حرف الباء وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني : اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف الباء

أ- المطلب الأول: متعلق حرف الباء

ب- المطلب الثاني: معنى حرف الباء

سنورد في المطلب الأول المعاني التي جاءت عليها "الباء" حسب ترتيب ابن هشام لها في مغني اللبيب، على أن أستشهد تحت كل معنى ببعض الآيات من سورة الأعراف، مع تقديم المعنى العام للآية. أما المعاني التي لم ترد آيات تناسبها في سورة الأعراف فسأكتفي بالإشارة إليها في بداية المطلب.

المبحث الأول

معاني حرف الباء وشواهدها من سورة الأعراف

ذكر ابن هشام في المغني المعاني التي ورد عليها حرف الجر الباء فقال[1]: "حرف الباء المفردة، حرف جر لأربعة عشر معنى وهي: الإلصاق والتعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدل والمقابلة والمجاوزة والاستعلاء والتبعيض والقسم والغاية والتوكيد وهي الزائدة. وسنكتفي هنا بإيراد المعاني التي وردت لها شواهد في سورة الأعراف، ولن نتعرض لتلك المعاني التي لم تأت آيات تناسبها، وهي (البدل والمجاوزة والاستعلاء والتبعيض).

المعنى الأول: الإلصاق:

قيل: وهو معنى لا يفارقها، فلهذا اقتصر عليه سيبويه. ثم الإلصاق حقيقي: ك (أمسكت بزيد) إذا قبضت على شيء من جسمه أو على ما يحبسه من يد أو ثوب ونحوه، ومجازي: نحو (مررت بزيد) أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد"[2].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾[3]

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ج 2 ص117

(2) نفسه ج2ص117

(3) الأعراف الآية 86

يبين ابن عادل أن معنى الباء في كلمة "بكل" يحتمل أوجها منها الإلصاق فيقول "يجوز أن تكون "الباء" على حالها من الإلصاق أو المصاحبة، أو تكون بمعنى "في" يقال: قَعَدَ لَهُ بمكان كذا، وعلى مكان كذا، وفي مكان كذا، فتتعاقب هذه الحروف في هذا الموضع لتقارب معانيها، فقعد بمكان: الباء للإلصاق، وقد التصق بذلك المكان، و"على" للاستعلاء، وقد علا ذلك المكان، و"في" للحلول، وقد حلّ ذلك المكان"[1].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]

والمعنى كما قال ابن عاشور "قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ تعريج على ما هو حظ عموم الأمة من الشريعة وهو التمسك بها، فهذا الأخذ مجاز في التمسك والعمل، ولذلك عدي بالباء الدالة على اللصوق، يقال: أخذ بكذا إذا تمسك به وقبض عليه، كقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾[3][4].

الثاني: التعدية

"وتسمى باء النقل أيضا، وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا، وأكثر ما تعدى الفعل القاصر، تقول في ذهب زيد: ذهبت بزيد، وأذهبته، ومنه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[5] وقرئ (أذهب الله نورهم)، وهي بمعنى القراءة المشهورة[6].

---

(1) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج 9 ص 211

(2) الأعراف الآية 145

(3) الأعراف الآية 150

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور ج 9 ص 100

(5) البقرة الآية 17

(6) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ج 2 ص122

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1]

يقول السمين الحلبي عن معنى الباء في هذا الموضع "والباء في "بكتاب" للتعدية فقط"[2].

ويبين ابن عاشور معنى التعدية في الآية بقوله "والمراد بالكتاب القرآن. والباء في قوله: ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ لتعدية فعل ﴿جِئْنَٰهُم﴾، مثل الباء في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ فمعناه: أجأناهم كتاباً، أي جعلناه جائيا إياهم، فيؤول إلى معنى أبلغناهم إياه وأرسلناه إليهم"[3].

الثالث: الاستعانة

"وهي الداخلة على آلة الفعل، نحو (كتبت بالقلم) و(نجرت بالقدوم)"[4].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾[5]

يقول ابن عاشور عن معنى الباء في الآية "وجعلت الرّحمة بمنزلة الآلة للنّيل كما يقال: نال الثّمرة بمحجن. فالباء للآلة". ويورد احتمالا أخر لمعنى الباء فيقول "أو جعلت الرّحمة ملابسة للنّيل فالباء للملابسة. والنّيل هنا استعارة"[6].

---

(1) الأعراف الآية 52

(2) الدر المصون للسمين الحلبي ج 5 ص 336

(3) التحرير والتنوير ج8 ص152

(4) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ج 2 ص126

(5) الأعراف الآية 49

(6) التحرير والتنوير ج8 ص 147

الرابع: السببية

وسماها المرادي: التعليل، وقال: "هي التي تصلح غالباً في موضعها اللام نحو ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾[1] ومنه: لقيت بزيد الأسد أي بسبب لقائي إياه"[2].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝﴾[3]

يبين الشنقيطي معنى الباء في الآية فيقول "ما" مصدرية، والباء سببية، يعني: خسروا أنفسهم بسبب كونهم ظالمين بآياتنا"[4].

ويؤكد الهرري هذا المعنى بقوله "فأولئك الموصوفون بخفة الموازين هم الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا، إذ حرموها السعادة التي كانت مستعدة لها لو لم يفسدوا فطرتها بالكفروالمعاصي، وإصرارهم على ذلك إلى نهاية أعمارهم"[5].

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝﴾[6]

والمعنى كما قال ابن عاشور "والباء سببيّة، أي بسبب ما كنتم تكسبون ممّا أوجب لكم مضاعفة العذاب، وعبّر بالكسب دون الكفر لأنّه أشمل لأحوالهم، لأنّ إضلالهم

---

(1) البقرة الآية 54

(2) الجنى الداني للمرادي ص 39

(3) الأعراف الآية 9

(4) العذب النمير للشنقيطي ج 3 ص 1021

(5) حدائق الرّوح والريحان للهرري ج 9 ص 219

(6) الأعراف الآية 39

لأعقابهم كان بالكفر وبحبّ الفخر والإغراب بما علّموهم ومَا سَنوا لهم، فشمل ذلك كلّه آنه كسب[1].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[2]

يشير ابن عاشور إلى أن معنى الباء هو السببية، ويوضح تبعا لذلك معنى الآية فيقول "والباء للسببية أي: كِبْرُهم، وعدمُ إيمانهم، واتباعُهم سبيل الغي، وإعراضُهم عن سبيل الرشد سببه تكذيبهم بالآيات، فأفادت الجملة بيان سبب الكبر، وما عطف عليه من الأوصاف التي هي سبب صرفهم عن الآيات، فكان ذلك سبب السبب، وهذا أحسن من إرجاع الإشارة إلى الصرف المأخوذة من (سأصرف)؛ لأن هذا الحمل يجعل التكذيب سبباً ثانياً للصرف، وجعله سبباً للسبب أرشق[3].

الخامس: المصاحبة

قال المرادي: "ولها علامتان: إحداهما: أن يحسن في موضعها "مع". والأخرى: أن يغني عنها وعن مصحوبها الحال، كقوله تعالى "قد جاءكم الرسول بالحق[4] أي: مع الحق، أو محقاً. و"يا نوح اهبط بسلام[5] أي: مع سلام، أو مسلماً عليك. ولصلاحية وقوع الحال موقعها، سماها كثير من النحويين باء الحال[6].

---

(1) التحرير والتنوير ج 8 ص 124

(2) الأعراف الآية 146

(3) التحرير ج 9 ص 106

(4) النساء الآية 169

(5) هود الآية 48

(6) الجنى الداني للمرادي ص 40

وقد استعمل بعض المفسرين كأبي السعود والألوسي وابن عاشور في تفاسيرهم باء الملابسة عوض باء الحال، وجعلها صاحب معجم حروف المعاني في القرآن الكريم قسما مستقلا[1].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[2]

أورد السمين الحلبي معنيين للباء في كلمة (بغرور) فقال "قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾: الباء للحال أي: مصاحبين للغرور أو مصاحباً للغرور فهي حال: إمَّا من الفاعلِ أو من المفعول. ويجوز أن تكون الباءُ سببيةً أي: دَلاَّهما بسبب أن غرَّهما"[3] ووافقه الألوسي باختياره للاحتمالين حيث قال "بِغُرُورٍ" أي بما غرهما به من القسم أو متلبسين به، فالباء للمصاحبة أو الملابسة"[4].

أما ابن عاشور فاختار الملابسة وحدها موضحا بذلك معنى الآية على النحو التالي "والباء للملابسة أي دلاهما ملابساً للغُرور أي؛ لاستيلاء الغرور عليه إذ الغرور هو اعتقاد الشيء نافعاً بحسب ظاهر حاله ولا نفع فيه عند تجربته، وعلى هذا القياس يقال دَلاّه بغرور إذا أوقعه في الطّمع فيما لا نفع فيه"[5].

---

(1) ينظر : معجم حروف المعاني لمحمد الشريف ج2 ص 452

(2) الأعراف الآية 22

(3) الدر المصون للسمين ج 5 ص 281

(4) روح المعاني للألوسي ج 8 ص 100

(5) التحرير والتنوير ج8 ص 61

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ... ﴿٤٣﴾﴾[1]

يورد أبو السعود معنيين للباء فيقول: قوله "بالحَقّ" إما للتعدية فهي متعلقة بجاءت أو للملابسة فهي متعلقةٌ بمقدرٍ وقع حالاً من الرسل، أي والله لقد جاءوا بالحق أو لقد جاءوا ملتبسين بالحق[2].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾[3]

اختار ابن عاشور للباء معنى الملابسة، وبيَّن من خلال ذلك نكتة بلاغية توضح دقة الاستعمال القرآني للحروف فيقول "والباء في قوله: ﴿بِي﴾ للمصاحبة أو الملابسة، وهي تناقض معنى الظرفية المجازية من قولهم ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾[4]. فإنّهم جعلوا الضّلال متمكّنا منه، فنفى هو أن يكون للضّلال متلبّس به"[5].

والسادس: الظرفية

قال المرادي: "وعلامتها أن يحسن في موضعها في. نحو ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[6]، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾[7]. وهي كثيرة في الكلام"[8].

---

(1) الأعراف الآية 43

(2) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج 2 ص 345

(3) الأعراف الآية 61

(4) في قوله تعالى حكاية عنهم فيما قالوه لنوح (قَالَ ٱلْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) الأعراف 61

(5) التحرير لابن عاشور ج 8 ص 192

(6) آل عمران الآية 123

(7) الصافات الآيتان 137- 138

(8) الجنى الداني للمرادي ص 40

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [1]

اختار صاحب معجم حروف المعاني هذا المعنى للباء في هذا الموضع، وقد ألمح إلى ذلك بعض المفسرين عند إيراد معنى الآية كما جاء في المحرر الوجيز حيث يقول ابن عطية "وقوله ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ معناه دأباً وفي كل يوم وفي أطراف النهار"[2]، وقال أبو السعود "وقوله ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ متعلقٌ باذكر: أي اذكره في وقت الغُدوات والعشيات"[3].

والسابع: المقابلة

وهى الداخلة على الأعواض، نحو (اشتريته بألف) و(كافأت إحسانه بضعف) وقولهم (هذا بذاك). وتسمى باء العوض. قال المرادي: "ولم يذكر أكثرهم هذين المعنيين، أعني: البدل والمقابلة. وقال بعض النحويين: زاد بعض المتأخرين في معاني الباء أنها تجيء للبدل والعوض، نحو: هذا بذاك، أي: هذا بدل من ذلك وعوض منه. قال: والصحيح أن معناها السبب، ألا ترى أن التقدير: هذا مستحق بذاك، أي بسببه"[4].

شاهده من سورة الأعراف:

أورد صاحب معجم حروف المعاني عددا من الآيات ضمن هذا المعنى. ومثّل ابن هشام بشاهد من سورة الأعراف لم أورده هنا لتنازع المفسرين والمعربين حوله، وقد أدرجته في المطلب الثاني ضمن الآيات التي تعددت توجيهاتها الإعرابية. وهذا الشاهد هو قوله تعالى

---

(1) الأعراف الآية 205

(2) المحرر الوجيز لابن عطية ج 2 ص 494

(3) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج 2 ص 459

(4) الجنى الداني للمرادي ص 41

﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1] . قال ابن هشام "وإنما لم نقدرها باء السببية كما قالت المعتزلة وكما قال الجميع في (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) لأن المعطى بعوض قد يعطى مجانا، وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب، وقد تبين أنه لا تعارض بين الحديث والآية، لاختلاف محملي الباءين جمعا بين الأدلة"[2].

الثامن: القسم

"وهو أصل أحرفه، ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معه نحو (أقسم بالله لتفعلن) ودخولها على الضمير نحو (بك لأفعلن)"[3].

شاهده من سورة الأعراف:

أورد صاحب معجم حروف المعاني شاهدا واحدا من الأعراف لهذا المعنى، وهو قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾، وقد أدرجته في المطلب الثاني حيث تنوعت توجيهات المفسرين حول معنى حرف الباء فيه، وسيكون هناك مزيد تفصيل وبيان حول هذه اللآية.

التاسع: الغاية

"أن تكون بمعنى إلى" نحو ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾[4] أي إلي[5].

---

(1) الأعراف الآية 43

(2) مغني اللبيب ج 2 ص 133

(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ج 2 ص144

(4) يوسف الآية 100

(5) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ج 2 ص146

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [1]

جعل صاحب معجم معاني القرآن هذه الآية شاهدا على معنى الغاية ولم أجد من وافقه على ذلك؛ بل ذكر الألوسي ثلاثة معان محتملة للباء دون ذكر الغاية: 1- التعدية: وعزاه للزمخشري. 2-المصاحبة: وعزاه لأبي حيان 3 - الظرفية: وعزاه للرازي[2].

العاشر: التوكيد وهي الزائدة،

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢﴾ [3]

أشار ابن عاشور إلى معنى التوكيد الذي جلبته الباء الزائدة في الآية فقال "وجملة ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مفيدة المبالغة في القطع بانتفاء إيمانهم بموسى لأنهم جاءوا في كلامهم بما حوته الجملة الاسمية التي حَكَتْهُ من الدلالة على ثبوت هذا الانتفاء ودوامه. وبما تفيده الباء من توكيد النفي، وما يفيده تقديم متعلق مؤمنين من اهتمامهم بموسى في تعليق الإيمان به المنفي باسمه"[4].

---

(1) الأعراف الآية 80

(2) روح المعاني للألوسي ج 8 ص 169

(3) الأعراف الآية 132

(4) التحرير و التنوير ج9 ص 69

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف الباء

أ- المطلب الأول: متعلق حرف الباء

يركز النحويون - عند تناولهم النصوص- على تحديد متعلَّق الجار والمجرور والظرف بالإشارة إليه مذكورا، وبتقديره محذوفا. وتعد مراعاة الجانب المعنوي في هذا الباب أولى من مراعاة الجانب اللفظي، ذلك أن النحويين يشددون على وجوب مراعاة المعرب لسلامة المعنى في هذا التعليق، فقد يصلح الفعل أو شبهه للعمل في الجار والمجرور من جهة الصناعة، ولكن المعنى لا يسعف بذلك، فلا يصح حينئذ تجاهل هذا الأمر، ومن ثم وجب البحث عن متعلَّق آخر. وحيث إن اللغة العربية مبناها على البلاغة والإيجاز، فإنه يتعين فيها حذف المتعلَّق لأنه مفهوم لدى المخاطب بكونه كونا عاما يفهم من السياق، وذلك كالاستقرار والوجود والثبوت وغير ذلك، مما هو صفة أو حال أو خبر أوصلة أو فعل قسم. وإذا ثبت أن مراعاة المعنى أمر أساس في التوجيه الإعرابي للنص، فقد كان في الوقت ذاته عاملا كبيرا في إيجاد نوع من الإبداع والاجتهاد لدى المفسرين والمعربين والبلاغيين وشراح الشعر ونقاده في الكشف عن وجوه قوة النص في المفاضلة بين الأوجه المحتملة فيه فصاحة في اللفظ وسلامة في المعنى[1].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[2]

أورد الألوسي لمعنى الباء توجيهين: الأول: أن الباء زائدة في قوله "بأحسنها" أي: أحسنها، كما في قول الشاعر:

---

(1) الأثر العقدي في تعدد التوجيه اللإعرابي لمحمد السيف ج2 ص 797

(2) الأعرف الآية 145

سود المحاجر لا يقرأن بالسور[1]

ويحتمل أن تكون الباء أصلية وهو الظاهر، وحينئذ فهي إما متعلقة بيأخذوا بتضمينه معنى يعملوا، أوهو من الأخذ بمعنى السيرة، ومنه أخذ أخذهم أي سار سيرتهم وتخلق بخلائقهم كما نقول، وإما متعلقة بمحذوف وقع حالا[2].

ولعل حمل المعنى على تضمين الفعل "أخذ" معنى "عمل" أسلم لتفادي القول بزيادة حرف الباء، وهذا ظاهر اختيار الطبري إذ يقول القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ يقول تعالى ذِكره: قلنا لموسى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ يقول: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها[3].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[4]

أورد الزمخشري وجهين إعرابيين لمتعلق الباء في قوله ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، وهما صالحان معنى وصناعة. المتعلَّق به الأول: محذوف حال من الفاعل، والثاني هو الفعل ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾. يقول الزمخشري مع بيانه معنى الآية مع كل تقدير "قوله ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان: أن يكون حالاً بمعنى يتكبرون غير محقين؛ لأن التكبر بالحقّ لله وحده. وأن يكون صلة لفعل التكبر، أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم"[5].

---

(1) البيت للراعي النميري من فحول الشعراء المحدثين وهو في ديوانه وصدره : هن الحرائر لا ربات أخمرة.

(2) روح المعاني الألوسي ج 9 ص 58

(3) تفسير الطبري ج 13 ص 109

(4) الأعراف الآية 146

(5) الكشاف للزمخشري ج 2 ص 509

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1]

قال ابن عاشور "والمجرور في قوله ﴿بِهَا﴾ متعلق بفعل ﴿تُضِلُّ﴾ وحده ولا يتنازعه معه فعل ﴿تَهۡدِي﴾ لأن الفتنة لا تكون سبب هداية بقرينة تسميتها فتنة، فمن قدر في التفسير: وتهدي بها أونحوه، فقد غفل[2].

وقد اعتمد ابن عاشور في اختياره للمتعلق به على الجانب المعنوي بزعمه، وغلّط باقي التوجيهات، رغم كونها تصلح صناعة. ولقد جانب ابن عاشور رحمه الله الصواب في اختياره حيث إنه حمل "الفتنة" على المعنى السلبي الذي غلب عليها، يقول الراغب الأصفهاني "وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا ... والفتنة من الأفعال التي تكون من الله ومن العبد، كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك"[3]. ويوضح ابن كثير في بيانه معنى الآية، دلالة الفتنة في هذا السياق فيقول "قوله ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف، ولا معنى له غير ذلك، يقول: إن الأمر إلا أمرك، وإن الحكم إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء، وتهدي من تشاء"[4]. وهذا ما يفهم أيضا من كلام الشوكاني في تفسيره للآية، حيث يقول "قوله ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن

---

(1) الأعراف الآية 155

(2) التحرير والتنوير ج 9 ص 127

(3) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 374 مادة (فتن)

(4) تفسير ابن كثير ج 3 ص 481

تَشَآءُ﴾ أي تضلّ بهذه الفتنة من تشاء من عبادك وتهدي بها من تشاء منهم، ومثله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1][2].

وعليه فالفعل "تهدي" صالح لكي تتعلق به الباء في كلمة "بها" عكس ما ذهب إليه ابن عاشور، فلا وجه لتغليط من قال بذلك.

ب- المطلب الثاني: معنى حرف الباء

سأقف مع بعض الآيات التي ظهر فيها الخلاف القائم على تحديد معنى حرف الجر فيها، مما يدلل على أهمية معرفة معاني حروف الجر لكل متعرض لفهم كتاب الله تفسيرا وإعرابا.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦﴾[3]

جرى الخلاف في توجيه هذه الآية بين أهل السنة وغيرهم من أهل الكلام وخاصة المعتزلة والجبرية، ومرد الخلاف إلى إسناد إبليس - لعنه الله - الإغواء إلى الله تعالى. وقد استند الزمخشري مثلا في تأويله لهذه الآية على معنى حرف الجر "الباء" فذكر في إعرابها وجهين يقول "معنى قوله تعالى ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي فبسبب إغوائك إياي لأقعدنّ لهم. وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفساً ومناصب. والمعنى: فبسبب وقوعي في الغيّ لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي، كما فسدت بسببهم.. ويجوز أن تكون الباء للقسم، أي: فأقسم بإغوائك لأقعدن، وإنما أقسم بالإغواء؛ لأنه كان تكليفاً، والتكليف من أحسن أفعال الله، لكونه تعريضاً لسعادة الأبد، فكان جديراً بأن يقسم به"[4]. وقد حاول الزمخشري أن يخرج الآية القرآنية عن ظاهرها في

---

(1) هود الآية 7 – الملك الآية 2

(2) فتح القدير للشوكاني ص 503

(3) الأعراف الآية 16

(4) الكشاف للزمخشري ج2 ص 427

نسبة الإغواء والإضلال إلى الله، وليثبت بأن إبليس حر في اختيار طريق الإيمان أو الضلالة وهو ما يتماشى مع أصول المعتزلة القائلين بالعدل الإلاهي، فهم قدرية في باب القضاء والقدر. وهكذا حاول الزمخشري تطويع النحو لخدمة عقيدته الاعتزالية التي تقوم على تنزيه الذات الإلاهية عن فعل القبيح[1].

ونورد ما ذكره القرطبي لمعاني الباء في هذه الآية قبل أن يقرر المذهب الوسط لأهل السنة، ويرد على مذهب المعتزلة القائلين إن العَبْدَ مُستَقِلٌ بِعَمَلِهِ، لَيسَ للهِ فيهِ إرادَةٌ ولا قُدْرَةٌ ولا خَلْق وعلى الجبرية القائلين إن العَبْدَ مَجْبُورٌ على فِعْلِهِ، ولَيْسَ لَهُ اختِيارٌ في ذلكَ، يقول: "وقيل: الباء بمعنى اللام، كأنه قال: فلإغوائك إياي. وقيل: هي بمعنى مع، والمعنى فمع إغوائك إياي. وقيل: هو استفهام، كأنه سأل بأيّ شيء أغواه؟. وكان ينبغي على هذا أن يكون: فَبِم أغويتني؟. وقيل: المعنى فبما أهلكتني بلعنك إياي. والإغواء: الإهلاك، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2] أي هلاكاً. وقيل: فبما أضللتني. والإغواء: الإضلال والإبعاد؛ قاله ابن عباس. وقيل: خيّبتني من رحمتك. ثم قال "مذهب أهل السنة أن الله تعالى أضلّه وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى. وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى. وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كل ما زينّه لهم، ولم يطاوعوه في هذه المسألة ويقولون: أخطأ إبليسُ، وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك. فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في نبيّ مكرم معصوم. وهو نوح عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3][4].

---

(1) اثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري النحوية لمهند الجبالي ص 86

(2) مريم الآية 59

(3) هود الآية 34

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 9 ص 170

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1]

اختلف المفسرون والمعربون في معنى الباء في قوله تعالى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلى ثلاثة أقوال:

1- أن الباء في الآية هي باء السبب والاستحقاق الذي هو بمعنى المقابلة والعوض والبدل، وهذا توجيه المعتزلة. قال الزمخشري "معنى قوله تعالى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب أعمالكم لا بالتفضل، كما تقول المبطلة"[2].

وقد ردَّ الألوسي على المعتزلة هذا التأويل فقال "وزعم المعتزلة أن دخول الجنة بسبب الأعمال لا بالتفضل لهذه الآية، ولا يخفى أنه لا محيص لمؤمن عن فضل الله تعالى لأن اقتضاء الأعمال لذاتها دخول الجنة أو إدخال الله تعالى ذويها فيها مما لا يكاد يعقل، وقصارى ما يعقل أن الله تعالى تفضل فرتب عليها دخول الجنة فلولا فضله لم يكن ذلك، وأنا لا أرى أكثر جراءة من المعتزلة في هذا الباب ككثير من الأبواب، فإن مآل كلامهم فيه أن الجنة ونعيمها الذي لا يتناهى إقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى الذي لا ينتفع بشيء ولا يتضرر بشيء لا تفضل له عليهم في ذلك بل هو بمثابة دين أدى إلى صاحبه سبحانك هذا بهتان عظيم وتكذيب لغير ما خبر صحيح"[3].

2- أن الباء في الآيات للسبب المجازي لا الحقيقي والمعنى: أنكم أورثتم الجنة بمحض تفضل وإنعام من الله، وما الأعمال إلا أمارات ليست هي الموجبة للجزاء والثواب.

---

(1) الأعراف الآية 43

(2) الكشاف للزمخشري ج 2 ص 444

(3) روح المعاني الألوسي ج8 ص 122

وهذا رأي الجبرية ومن وافقهم من الأشاعرة. قال أبو حيان "والباء في ﴿بِمَا﴾ للسبب المجازي والأعمال أمارة من الله ودليل على قوة الرجاء ودخول الجنة إنما هو بمجرد رحمة الله والقسم فيها على قدر العمل ولفظ ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ مشير إلى الأقسام وليس ذلك واجباً على الله تعالى"[1].

3- أن الباء في الآيات للسبب الحقيقي أي: إنكم أورثتم الجنة بسبب ما قدمتموه من أعمال صالحة أقامها الله وشرعها سببا حقيقيا لدخول الجنة واستحقاق رحمته وفضله.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عُدَّ مشكلا في دلالة هذا الحرف، وذلك قوله "قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"[2].

والجواب أن هذه الباء باء العوض والمقابلة، أي: لا يدخل أحد الجنة مقابل عمله وعوض تقواه مجردا عن فضل الله ورحمته. ومن ثم فلا تعارض بين هذه النصوص، فالمثبَت في الآية غير المنفي في الحديث. وهذا مذهب جمع من أتباع السلف[3].

ويبين ابن أبي العز أثر هذا الخلاف في توجيه الباء في هذه النصوص بقوله "وأما ترتيب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحد الجنة بعمله) باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمة الله وفضله. والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4] ونحوها باء

---

[1] البحر المحيط لأبي حيان ج4 ص 302

[2] متفق عليه أخرجه البخاري في كِتَاب الرِّقَاق بَاب الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ رقم 6012 و مسلم في كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَاب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ رقم 5042

[3] الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لمحمد السيف ج2 ص 890

[4] الأحقاف الآية 14

السبب، أي: بسبب عملكم؛ والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته[1].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾[2]

وقع الاختلاف بين المعربين والمفسرين في معنى الباء في موضعين في هذه الآية. ومرد هذا الخلاف راجع إلى اختلافهم في عود الضمير. ولا يخفى أن تحديد مرجع الضمير وتعيين مفسره أمر ضروري في معرفة المعاني وتوضيحها، ومن ذلك صلاحية ضمير الغائب لأن يعود على أشياء متنوعة سبقته. وقد نقل السمين توجيهات المعربين لضمير الغائب في كلمة "به" وما ترتب عليها من تنوع معاني حرف الباء فقال: "وقوله: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾ الضميرُ في "به" يعودُ على أقربِ مذكورٍ وهو "بلد ميت" وعلى هذا فلا بد من أن تكون الباءُ ظرفيةً بمعنى: أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء. وجعل الشيخُ[3] هذا هو الظاهر. وقيل: الضمير يعود على السحاب. ثم في الباء وجهان: أحدُهما: هي بمعنى "مِنْ" أي: فأنزلنا من السحاب الماء. والثاني: أنها سببيةٌ أي: فأنزلْنا الماءَ بسبب السحاب. وقيل: يعودُ على السَوْق المفهومِ من الفعل. والباءُ سببيةٌ أيضاً أي: فأنزلْنا بسبب سَوْقِ السحاب. وهو ضعيف لعَوْد الضمير على غيرِ مذكور مع إمكان عَوْدِه على مذكور.

---

(1) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص 642

(2) الأعراف الآية 57

(3) يقصد شيخه أبا حيان حيث يقول " {فأنزلنا به الماء} الظاهر أن الباء ظرفية والضمير عائد على بلد ميت أي فانزلنا فيه الماء وهو أقرب مذكور ويحسن عوده إليه فلا يجعل لأبعد مذكور، وقيل الباء سببيّة والضمير عائد على السحاب. وقيل عائد على المصدر المفهوم من سقناه فالتقدير بالسّحاب أو بالسّوق والثالث ضعيف لأنه عائد على غير مذكور مع وجود المذكور وصلاحيته للعود عليه. وقيل: عائد على السحاب والباء بمعنى من أي فانزلنا منه الماء كقوله {يشرب بها عباد الله} أي منها وهذا ليس بجيد لأنه تضمين من الحروف. البحرالمحيط ج 4 ص 321

وأما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾، فذكر السمين أن الخلاف في هذه الهاء كالذي في قبلها، وقال ونزيد عليه وجهاً أحسنَ منها وهو العَوْدُ على الماء، ولا ينبغي أن يُعْدَلَ عنه[1].

واختار الألوسي عود الضمير على الماء أيضا معللا اختياره بقوله قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود الضمير إلى الماء وهو الظاهر لقربه لفظاً ومعنى، ومطابقة النظائر وانفكاك الضمائر لا بأس به إذا قام الدليل عليه وحسن الملاءمة[2].

والراجح والله أعلم هو اختيار أبي حيان في قوله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ أي بالبلد الميت وعليه فالباء ظرفية. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ الضمير يعود على الماء كما رجح السمين والألوسي، وعليه فالباء للآلة. يقول ابن عاشور والضّمير المجرور بالباء في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ يجوز أن يعود إلى البلد، فيكون الباء بمعنى (في) ويجوز أن يعود إلى المَاء فيكون الباء للآلة[3].

والقاعدة الموجهة لهذا الترجيح هي قول ابن مالك في شرح التسهيل إذا ذكر ضمير واحد بعد اثنين فصاعدا، جعل للأقرب، ولا يجعل لغيره إلا بدليل من خارج[4].

---

(1) الدر المصون ج 5 ص 351

(2) روح المعاني للألوسي ج8 ص 146

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور ج8 ص 183

(4) شرح التسهيل لابن مالك ج1 ص 157

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[1]

لم يكن معنى الباء في هذا الموضع محل اتفاق بين المفسرين، يقول الزمخشري "قوله تعالى ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ أي ما عملها قبلكم، والباء للتعدية من قولك: سبقته بالكرة، إذا ضربتها قبله. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "سبقك بها عكاشة[2][3]".

وردَّ أبو حيان اختيار الزمخشري محاولا تعليل تخطئته إياه بقوله: "قوله { ما سبقكم بها أحد } أي فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به، وقال الزمخشري: والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام "سبقك بها عكاشة"، ومعنى التعدية هنا قلق جداً لأنّ الباء المعدية في الفعل المتعدي إلى واحد هي بجعل المفعول الأول يفعل ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء فهي كالهمزة وبيان ذلك أنك إذا قلت صككت الحجر بالحجر فمعناه أصككت الحجر الحجر أي جعلت الحجر يصك الحجر وكذلك دفعت زيداً بعمرو عن خالد معناه أدفعت زيداً عمراً عن خالد أي جعلت زيداً يدفع عمراً عن خالد فللمفعول الأوّل تأثير في الثاني ولا يتأتى هذا المعنى هنا إذ لا يصحّ أن يقدّر أسبقت زيداً الكرة أي (جعلت زيداً يسبق الكرة) إلا بمجاز متكلّف وهو أن تجعل (ضربك للكرة) أول جعل (ضربة قد سبقها) أي تقدّمها في الزمان فلم يجتمعا[4]".

واختار السمين معنى الحالية وهي الملابسة مرجحا له على التعدية وقال: هو (أظهرهُما) وبين أن معنى الآية مع هذا الترجيح هو أي: ما سَبَقَكمْ أحدٌ مصاحِباً لها أي: ملتبساً بها[5].

---

(1) الأعراف الآية 80

(2) متفق عليه رواه البخاري « كِتَاب الطِّبِّ « باب مَنْ لَمْ يَرْقِ رقم 5340 و رواه مسلم « كِتَاب الإِيمَانِ « بَاب الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الجنة بغير حساب ولا عذاب رقم 323

(3) الكشاف للزمخشري ج2 ص 469

(4) البحر المحيط لأبي حيان ج4 ص 336

(5) الدر المصون للحلبي ج5 ص 371

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[1]

ذكر السمين وجهين للباء في قوله "ظلموا بها"، قال "يجوز أن يُضَمَّن ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ معنى كفروا فيتعدَّى بالباء كتعديته. ويؤيِّده ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]. ويجوز أن تكون الباءُ سببية، والمفعولُ محذوفٌ تقديره: فظلموا أنفسَهم، أو ظلموا الناس بمعنى صَدُّوهم عن الإيمان بسبب الآيات"[3].

وبين أبو السعود المعاني المترتبة عن هذين المعنيين فقال﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي كفروا بها، أُجري الظلمُ مُجرى الكفرِ لكونهما من واد واحدٍ، أو ضُمّن معنى الكفرِ أو التكذيبِ أي ظلموا كافرين بها أومكذّبين بها، أو كفروا بها مكان الإيمانِ الذي هو من حقها لوضوحها، ولهذا المعنى وُضع ظلَموا موضِعَ كفروا. وقيل: ظلموا أنفسَهم بسببها بأن عرّضوها للعذاب الخالد، أو ظلموا الناسَ بصدهم عن الإيمان بها"[4].

والأولى والله أعلم حمل معنى الآية على التضمين بدل تقدير المحذوف، وهذا اختيار الطبري حيث قال "قوله تعالى ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: فكفروا بها. والهاء والألف اللتان في قوله (بها) عائدتان على الآيات. ومعنى ذلك: فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم. وإنما جاز أن يقال: فظلموا بها، بمعنى: كفروا بها، لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه... والكفر بآيات الله: وضع لها في غير موضعها، وصرف لها إلى غير وجهها الذي عنيت به"[5].

---

(1) الأعراف الآية 103

(2) لقمان الآية 13

(3) الدر المصون ج5 ص 400

(4) روح المعاني ج 9 ص 18

(5) تفسير الطبري ج 13 ص 12

الفصل الثاني

حرف اللام

1- المبحث الأول: معاني حرف اللام وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني : اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف اللام

أ- المطلب الأول: متعلق حرف اللام

ب- المطلب الثاني: معنى حرف اللام

المبحث الأول

معاني حرف اللام وشواهدها من سورة الأعراف

تعد اللام من أوسع حروف الجر تصرفا في أداء المعاني، وهي من أشد الحروف المفردة تباينا بسبب كثرة واختلاف وظائفها. يقول المرادي "حرف كثير المعاني والأقسام. وقد أفرد لها بعضهم تصنيفاً، وذكر لها نحواً من أربعين معنى"[1].

ذكر ابن هشام في المغني المعاني التي ورد عليها حرف الجر "اللام" فقال: "وللام الجارة اثنان وعشرون معنى: الاستحقاق والاختصاص والملك والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وموافقة كل من (إلى وعلى وفي وعند وبعد ومع ومن وعن) والتبليغ والصيرورة والقسم والتعجب معا والتعجب المجرد عن القسم والتعدية والتوكيد والتبيين"[2].

فأما المعاني التي وقفت لها على شواهد من سورة الأعراف فهي:

أحدها: الاستحقاق

وهى الواقعة بين معنى وذات، نحو (الحمد لله)

شاهده من سورة الأعراف:

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾[3]

---

(1) الجنى الداني للمرادي 95

(2) مغني اللبيب لابن هشام ج2 ص 152

(3) الأعراف الآية 131

والمعنى كما قال ابن عاشور "واللام في قوله ﴿لَنَا﴾ هـذه لام الاستحقاق أي: هـذه الحسنة حق لنا، لأنهم بغرورهم يحسبون أنهم أحرياء بالنعم، أي: فلا يرون تلك الحسنة فضلاً من الله ونعمة"[1].

والثاني: الاختصاص:

"وهي اللام الدالة على أن بين الأول والثاني نسبة باعتبار ما دل عليه متعلقا"[2] نحو (الجنة للمؤمنين)

شاهده من سورة الأعراف:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[3]

يقول الطاهر بن عاشور "واللاّم في: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لام الاختصاص وهو يدلّ على الإباحة، فالمعنى: ما هي بحرام ولكنّها مباحة للذين آمنوا"[4].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[5]

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور ج9 ص 65

(2) اللامات للفضلي ص 74

(3) الأعراف الآية 32

(4) التحرير والتنوير ج8 ص 96

(5) الأعراف الآية 73

والمعنى كما يقول السمين الحلبي "وقوله { لكُمْ } أي: أعني لكم، وخُصُّوا بذلك لأنهم هم السائلوها أو المنتفعون بها من بين سائر الناس لو أطاعوا"[1].

والثالث: الملك

وهي "الموصلة لمعنى الملك للمالك وهي متصلة بالمالك لا المملوك"[2].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[3]

يقول ابن عاشور عن معنى الآية "وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه، بأن الله الذي خوله ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه"[4].

الرابع: التعليل

"وتسمى لامه لام العلة ولام التعليل وهي التي يصلح موضعها لأجلِ"[5].

---

[1] الدر المصون للسمين ج5 ص 362

[2] اللامات لعبد الهادي الفضلي ص 75

[3] الأعراف الآية 128

[4] التحرير والتنوير ج 9 ص 60

[5] اللامات للفضلي ص 76

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1]

يورد السمين معنى التعليل ضمن أحد اختياريه يقول "قوله "لميقاتنا" متعلقٌ به أي: لأجل ميقاتنا. ويجوز أن يكونَ معناها الاختصاصَ، أي: اختارهم مخصصاً بهم الميقات كقولك: اختير لك هذا"[2].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾[3]

يقول الرازي عن معنى اللام في الآية "معنى وسوس له أي فعل الوسوسة لأجله"[4].

ويبين السمين الفرق بين استعمال اللام وإلى" مع الفعل "وسوس" فيقول "قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾، أي: فَعَلَ الوسوسة لأجلهما. والفرق بين وسوس له ووسوس إليه أنَّ وسوس له بمعنى لأجله، ووسوس إليه ألقى إليه الوسوسة"[5].

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[6]

اختار السمين معنى التعليل دون غيره وردّ وجهين محتملين للام أوردهما ابن الأنباري، وهما معنى التوكيد ومعنى الغاية. يقول "قوله تعالى: { لَهُ }: متعلّقٌ بـ "استمعوا"،

---

(1) الأعراف الآية 155

(2) الدر المصون للسمين ج 5 ص 475

(3) الأعراف الآية 19

(4) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج 14 ص 49

(5) الدر المصون ج 5 ص 275

(6) الأعراف الآية 204

على معنى لأجله، والضمير للقرآن. وقال أبو البقاء: "يجوزُ أن يكـون بمعنـى لله، أي: لأجلـه"، فأعاد الضميرَ على "الله" وفيه بُعْدٌ، وجوَّز أيضاً أن تكـونَ الـلامُ زائـدةً، أي: فاسـتمعوه، وقـد عَرَفْتَ أن هذا لا يجوز عند الجمهـور إلا في موضـعين: إمّـا تقـديمِ المعمـولِ أو كـونِ العامـل فرعاً. وجوَّز أيضاً أن تكون بمعنى إلى ولا حاجة إليه"[1].

الخامس: موافقة (إلى)

نحو قوله تعالى ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [2] و﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [4]

أورد الفخر الرازي معنى الغاية عند عرضـه مـا تحتملـه الـلام مـن معـان فقـال "أمـا (اللام) في قوله: ﴿سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ﴾ ففيه قولان: قال بعضهم هذه (اللام) بمعنى "إلى" يقال هديتـه للدين وإلى الدين"[5].

وسيأتي مزيد تفصيل حول توجيهات المعربين لهذه اللام في المطلب الثاني.

---

(1) الدر المصون للسمين الحلبي ج 5 ص 550

(2) الزلزلة الآية 5

(3) الرعد الآية 2

(4) الأعراف الآية 57

(5) تفسير الرازي ج 14 ص 148

والسادس: موافقة (في) نحو (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)[1].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[2]

أورد الألوسي معنى الظرفية للام ضمن ما أورده لها من معان فقال "واللام لام التوقيت واختلف فيها فقيل هي بمعنى "في"، وقال ابن جني: بمعنى عند، وقال الرضي": هي اللام المفيدة للاختصاص... والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها الذي تسألون عنه إلا الرب سبحانه بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين فيتوسط في إظهاره لهم.. والجار والمجرور متعلق بالتجلية وهو قيد لها بعد ورود الاستثناء كأنه قيل: لا يجليها إلا هو في وقتها[3].

والسابع: أن تكون بمعنى (عند) كقولهم (كتبته لخمس خَلون)

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ

---

(1) الأنبياء الآية 47

(2) الأعراف الآية 187

(3) روح المعاني للألوسي ج9 ص 133

﴿دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[1]

رجح ابن عاشور أن تكون اللام في هذا الشاهد بمعنى عند فقال "وجعلها ابن هشام بمعنى عند، وجعل ذلك من معاني اللام وهو أظهر، والمعنى: فلما جاء موسى مجيئاً خاصاً بالميقات أي: حاصلاً عنده لا تأخير فيه كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[2][3].

والثامن: التبليغ

وهى الجارة لاسم السامع لقول أو ما في معناه، نحو (قلت له، وأذنت له، وفسرت له).

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾[4]

قال أبو حيان في البحر المحيط عن معنى اللام أي قالت الطائفة المتبوعة للطائفة المتبعة واللام في ﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ لام التبليغ نحو قلت لك اصنع كذا لأن الخطاب هو مع أخراهم[5].

---

(1) الأعراف الآية 143

(2) الإسراء الآية 78

(3) التحرير والتنوير ج 9 ص 90

(4) الأعراف الآية 39

(5) البحر المحيط لأبي حيان ج 4 ص 299

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1]

اختار السمين معنى التبليغ دون غيره فقال قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ اللام للتبليغ، ويَضْعُف أن تكون للعلة[2].

التاسع: الصيرورة

وتسمى لام العاقبة ولام المآل، نحو ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3].

شاهده من سورة الأعراف:

لم أقف له على شاهد يناسب هذا المعنى في الأعراف، غير أننا نشير إلى أن بعض الفرق الإسلامية تدرج بعض الآيات المتضمنة للام التعليل ضمن هذا المعنى وذلك نصرة لمذهبها ومعتقدها، ومن ذلك من سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ.... ﴿١٧٩﴾﴾[4]

وستأتي مناقشة الخلاف في هذا الحرف في المطلب الثاني بتفصيل إن شاء الله.

---

(1) الأعراف الآية 75

(2) الدر المصون ج 5 ص 365

(3) هود الآية 118. وقد رد ابن تيمية هذا الاختيار بجعل اللام في الآية للعاقبة وعزا ذلك للقدرية حيث قال "فإن بعض القدرية زعم أن تلك اللام لام العاقبة أي صارت عاقبتهم إلى الرحمة و إلى الاختلاف و إن لم يقصد ذلك الخالق" مجموعة الفتاوى ج 8 ص 114. وسيأتي مزيد بيان حول هذه المسألة عند التعليق على آية "ولقد ذرأنا لجهنم.." في المطلب الموالي

(4) الاعراف الآية 179

العاشر: التعدية

وهي الداخلة على المفعول به لتعدية الفعل إليه "ذكره ابن مالك في الكافية، ومثل له في شرحها بقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[1].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ۝١٠٨﴾[2]

قال ابن عاشور في التحرير: واللام في قوله: ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ لم يعرج المفسرون على بيان معناها وموقعها سوى أن صاحب (الكشاف) قال: (يتعلق للناظرين ببيضاء) دون أن يبين نوع التعلق ولا معنى اللام، وسكت عليه (شراحه) والبيضاوي، وظاهر قوله يتعلق أنه ظرف لغو تعلق ببيضاء فلعله لما في بيضاء من معنى الفعل كأنه قيل: ابيضّت للناظرين كما يتعلق المجرور بالمشتق فتعين أن يكون معنى اللام هو ما سماه ابن مالك بمعنى التعدية وهو يريد به تعدية خاصة (لا مطلقَ التعدية أي تعدية الفعل القاصر إلى ما لا يتعدى له بأصل وضعه لأن ذلك حاصل في جميع حروف الجر، فلا شك أنه أراد تعدية خاصة لم يبين حقيقتها. وقد مثل لها في (شرح الكافية) بقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[3].

الحادى عشر: التوكيد وهى اللام الزائدة،

"وهي الداخلة على المفعول به لتقوية عامله".

---

(1) مريم الآية 4

(2) الأعراف الآية 108

(3) التحرير والتنوير ج9 ص 40

شاهده من سورة الأعراف:

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[1]

قال السمين الحلبي "و "للمؤمنين " يجوز أن تكونَ اللامُ مزيدةً في المفعول به تقويـةً لـه، لأنَّ العاملَ فرعٌ، والتقدير: وتُذَكِّر المؤمنين."[2]

الثاني عشر: التبيين

قال المرادي "ولام التبـيين هـي الـلام الواقعـة بعـد أسمـاء الأفعـال، والمـصادر الـتي تشبهها، مبينة لصاحب معناها. نحو "هيت لك"، وسقياً لزيد"[3].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۝١٨٣﴾[4]

والمعنى كما قال ابن عاشور في التحريـر "والـلام في قولـه: ﴿لَهُم﴾ هـي الـلام الـتي تسمى: لام التبيين، ولها استعمالات كثيرة فيها خفاء ومرجعهـا: إلى أنهـا يقـصد منهـا تبـيين اتصال مدخولها بعامله لخفاء في ذلك الاتـصال، فـإن اشـتقاق أملـي مـن الملـو اشـتقاق غـير مكين، لأن المشتق منه ليس فيه معنى الحدث، فلم يجيء منـه فعـل مجـرد، فـاحتيج إلى الـلام، لتبيين تعلق المفعول بفعله"[5].

---

(1) الأعراف الآية 1

(2) الدر المصون ج5 ص 245

(3) الجنى الداني المرادي ص 97

(4) الأعراف الآية 183

(5) التحرير والتنوير ج9 ص 191

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف اللام

أ- المطلب الأول: متعلق حرف اللام

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]

أورد السمين بعض المعاني التي تحتملها الآية استنادا إلى متعلَّق اللام في قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فقال: هو متعلِّقٌ بـ ﴿خَالِصَةً﴾، وكذلك يوم القيامة، وقال مكي: "ويكون قوله (للذين) تبييناً. قال السمين: فعلى هذا تتعلق بمحذوف كقولهم: سَقْياً لك وجَدْعاً له. و﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلِّقٌ بآمنوا، والمعنى: قل الطيبات خالصة للمؤمنين في الدنيا يوم القيامة أي: تَخْلُص يومَ القيامة لِمَنْ آمن في الدنيا، وإن كانت مشتركاً فيها بينهم وبين الكفار في الدنيا، وهو معنى حسن. وقيل: المراد بخلوصها لهم يوم القيامة أنهم لا يُعاقبون عليها، وإلى تفسير هذا نحا سعيد بن جبير. الثاني: أن يكون خبراً بعد خبر، والخبر الأول قوله ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، و﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على هذا متعلِّقٌ بما تعلق به الجارُّ من الاستقرار المقدر، ويوم القيامة معمولٌ لخالصة كما مَرَّ في الوجه قبله، والتقدير: قل الطيبات مستقرة أو كائنة للذين آمنوا في الحياة الدنيا، وهي خالصة لهم يوم القيامة، وإن كانوا في الدنيا يُشاركهم الكفار فيها"[2].

---

(1) الأعراف الآية 30

(2) الدر المصون ج 5 ص 301

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [1]

قدم السمين لمتعلق اللام في هذه الآية توجيهين، وقد أثر كل وجه على تقدير معنى اللام حيث احتملت الملك والتوكيد، وظهر من ثم للآية معنييان يقول السمين: "قوله تعالى: ﴿لِنَفۡسِي﴾: فيه وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بأملك. والثاني: أنها متعلقةٌ بمحذوف على أنها حال من "نفعاً" لأنه في الأصل صفةٌ له لو تأخر. ويجوز أن يكون "لنفسي" معمولاً بـ "نفعاً"، واللامُ زائدةٌ في المفعول به تقويةً للعامل لأنه فرع، إذ التقدير: لا أملك أن أنفع نفسي ولا أن أضرَّها. وهو وجهٌ حسن".

أما في كلمة "لقومه" فتعددت احتمالات المتعلّق به تبعا للخلاف الكوفي البصري في مسألة التنازع. يقول السمين "قوله: ﴿لِّقَوۡمٖ﴾ هذه من باب التنازع فيُختار عند البصريين تعلُّقُه بـ "بشير" لأنه الثاني، وعند الكوفيين بالأول لسبقه "ويضيف السمين وجها ثالثا محتملا فيقول "ويجوز أن يكونَ المتعلّق بالنذارة محذوفاً، أي: نذير للكافرين، ودَلَّ عليه ذِكْرُ مقابله، وهو قريب من حذف المعطوف كقوله: ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[2][3].

ب- المطلب الثاني: معنى حرف اللام

سنتناول بعض الآيات التي ظهر فيها الخلاف القائم على تحديد معنى حرف الجر اللام ومنها:

---

[1] الأعراف الآية 188

[2] النحل الآية 81.

[3] الدر المصون للسمين ج 5 ص 532

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾[1]

تعددت توجيهات المعربين والمفسرين لمعنى اللام في هذه الآية ولم يكن ليغيب عنهم أثر تلك المعاني على دلالة الآية، خاصة وأنها في باب دقيق افترقت فيه المذاهب وتباينت النزعات ألا وهو باب العقيدة والتوحيد.

وقد ذكر السمين أقاويل المعربين لهذه اللام فقال "واللامُ في "لآدمَ" الظاهرُ أنها متعلقةٌ باسجُدُوا، ومعناها التعليلُ أي لأجلِه.

وقيل: بمعنى إلى، أي: إلى جهته لأنه جُعِل قِبْلةً لهم، والسجودُ لله.

وقيل: بمعنى "مع" لأنه كان إمامَهم كذا نُقِلَ.

وقيل: اللامُ للبيانِ فتتعلَّقُ بمحذوفٍ ولا حاجةَ إلى ذلك"[2].

وردّ ابن تيمية على بعض التوجيهات الباطلة لدلالة اللام والتي يلزم منها معان باطلة كذلك فقال "وقد قال بعض الأغبياء: إن السجود إنما كان لله وجعل آدم قبلة لهم يسجدون إليه كما يسجد إلى الكعبة، وليس في هذا تفضيل له عليهم، كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن عند الله بل حرمة المؤمن عند الله أفضل من حرمتها وقالوا: السجود لغير الله محرم بل كفر.

والجواب: أن السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه بإجماع من يسمع قوله ويدل على ذلك وجوه:

أحدها: قوله لآدم: ولم يقل: إلى آدم. وكل حرف له معنى ومن التمييز في اللسان أن يقال: سجدت له وسجدت إليه. كما قال تعالى ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟

---

(1) الأعراف الآية 10

(2) الدر المصون ج1 ص 273 (الآية في سورة البقرة "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" آية 34

﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2].

والثاني: أن آدم لو كان قبلة لم يمتنع إبليس من السجود أو يزعم أنه خير منه. فإن القبلة قد تكون أحجارا وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها وقد يصلي الرجل إلى عنزة وبعير وإلى رجل ولا يتوهم أنه مفضل بذلك فمن أي شيء فر الشيطان؟ هذا هو العجب العجيب..."[3].

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِى ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٌ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابًا ضِعۡفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ...... ﴿٣٨﴾﴾[4]

يقول السمين عن معنى اللام في الآية "وقوله: ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ اللامُ للتعليل أي لأجل، ولا يجوز أن تكون التي للتبليغ كهي في قولك: قلت لزيدٍ افعل. قال الزمخشري: "لأنَّ خطابَهم مع الله لا معهم" وقد بَسَطَ القولَ قبله في ذلك الزجاج فقال: "والمعنى: وقالت أخراهم: يا ربَّنا هؤلاء أضلونا، لأولاهم" فَذَكَرَ نحوه. قلت: وعلى هذا فاللامُ الثانيةُ في قوله أولاهم لأخراهم "يجوز أن تكون للتبليغ، لأنَّ خطابَهم معهم بدليل قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٍ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾[5].

ويوافق ابن عاشور على هذا التوجيه حيث يقول "واللاّم في: ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ لام العلّة، وليست اللاّم التي يتعدّى بها فعل القَول، لأنّ قول الطائفة الأخيرة موجّه إلى الله

---

(1) فصلت الآية 37

(2) الرعد الآية 15

(3) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج 4 ص 219

(4) الأعراف الآية 36

(5) الدر المصون ج 5 ص 315

تعالى، بصريح قولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾، لا إلى الطّائفة الأولى، فهي كاللاّم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾[1][2].

وحجة المعربين في هذا الاختيار الأوحد هو قرينة السياق حيث جاءت لفظة "ربنا" مقرونة بضمير "نا" دليلا على ندائهم الله وخطابهم إياه دون الأمة الأولى، وفي المقابل جاءت الآية بعدها مبينة حصول التحاور بين الأمتين الأولى والآخرة بقرينة آخر الآية ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾. فكانت اللام الأولى التي في هذه الآية من قوله "لأولاهم" للتعليل واللام الثانية للتبليغ والتي في قوله تعالى:﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾[3]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[4]

ذكر الرازي توجيهين للام في الآية فقال "أما (اللام) في قوله: ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ﴾ ففيه قولان: قال بعضهم هذه (اللام) بمعنى "إلى" يقال هديته للدين وإلى الدين. وقال آخرون: هذه (اللام) بمعنى من أجل، والتقدير سقناه لأجل بلد ميت ليس فيه حياً يسقيه"[5].

---

(1) الأحقاف الآية 10

(2) التحرير والتنوير ج 8 ص 122

(3) الأعراف الآية 39

(4) الأعراف الآية 56

(5) مفاتيح الغيب للرازي ج 14 ص 148

وهذا الأخير اختيار الزمخشري[1] يقول "لأجل بلد ليس فيه حيا ليسقيه" ووافقه ابن عاشور وعلل ذلك بما يتضمنه من نكتة لطيفة حيث قال "واللاّم في قوله: ﴿لِبَلَدٍ﴾ لام العلّة، أي لأجل بلد ميّت، وفي هذه اللاّم دلالة على العناية الرّبانية بذلك البلد فلذلك عدل عن تعدية ﴿سُقْنَٰهُ﴾ بحرف (إلى)"[2]، غير أن أبا حيان رد هذا التوجيه الأخير لعدم دقته فقال "واللام في ﴿لِبَلَدٍ﴾ عندي لام التبليغ كقولك قلت لك، وقال الزمخشري: لأجل بلد فجعل اللام لام العلة ولا يظهر فرق بين قولك سقت لك مالاً وسقت لأجلك مالاً فإنّ الأوّل معناه أوصلته لك وأبلغتكه والثاني لا يلزم منه وصوله إليه بل قد يكون الذي وصل له الماء غير الذي علّل به السوق ألا ترى إلى صحة قول القائل لأجل زيد سقت لك مالك"[3].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾[4]

والمعنى كما قال الطبري "يقول: أو لم يبين للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها، فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم، وعتوا عن أمر ربهم"[5].

وقال الزمخشري "وإنما عدّى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين"[6].

وقال الألوسي "وتعدية فعل الهداية باللام لأنها كما روي عن ابن عباس ومجاهد بمعنى التبيين وهو على ما قيل: إما بطريق المجاز أو التضمين أو لتنزيله منزلة اللازم، كأنه قيل: أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم"[7].

---

(1) تفسير الزمخشري ج 2 ص 452

(2) التحرير والتنوير ج 8 ص 183

(3) البحر المحيط ج 4 ص 321

(4) الأعراف الآية 100

(5) تفسير الطبري ج12 ص 579

(6) الكشاف للزمخشري ج 2 ص 480

(7) روح المعاني للألوسي ج 9 ص 13

وقال ابن القيم "ففعل الهداية متى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب فأتي باللام الدالة على الاختصاص والتعيين والتبيين، فإذا قلت هديته لكذا فهم معنى ذكرته له وهيأته له ووضحته له"[1].

ويقول ابن عاشور ومعنى ﴿لَمۡ يَهۡدِ﴾ لم يرشد ويُبَيْن لهم، فالهداية أصلها تبيين الطريق للسائر، واشتهر استعمالهم في مطلق الإرشاد: مجازاً أو استعارة كقوله تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. وتقدم أن فعلها يتعدى إلى مفعولين، وأنه يتعدى إلى الأول منهما بنفسه وإلى الثاني تارة بنفسه وأخرى بالحرف: اللام أو (إلى)، فلذلك كانت تعديته إلى المفعول الأول باللام في هذه الآية إمّا لتضمينه معنى يُبين، وإما لتقوية تعلق معنى الفعل بالمفعول كما في قولهم: شكرتُ له"[2].

والراجح أن حمل المعنى على تضمين الفعل "هدى" معنى "انجلى واتضح" أحسن دلالة وأبين للمقصود والمراد، والله تعالى أعلم.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾[3]

قال الطبري "واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: ﴿لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ مع استقباح العرب أن يقال في الكلام: رهبت لك: بمعنى رهبتك، وأكرمت لك: بمعنى أكرمتك، ثم ذكر بعض التوجيهات في ذلك"[4].

---

(1) بدائع الفوائد لابن القيم ج 2 ص 425
(2) التحرير والتنوير ج 9 ص 27
(3) الأعراف الآية 154
(4) تفسير الطبري ج 13 ص 138

وذكر السمين أغلب توجيهات المعربين لمعنى اللام مفصلة؛ حيث قال "قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[1] في هذه اللامِ أربعةُ أوجه:

أحدها: أن اللامَ مقويةٌ للفعل، لأنه لَمَّا تقدَّم معمولُه ضَعُفَ فقوي باللام كقوله: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ وقد تقدم أن اللامَ تكونُ مقويةً حيث كان العامل مؤخراً أو فرعاً نحو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2] ولا تُزاد في غير هذين إلا ضرورةً عند بعضهم.

والثاني: أن اللامَ لامُ العلة، وعلى هذا فمفعولُ ﴿يَرْهَبُونَ﴾ محذوفٌ تقديره: يرهبون عقابَه لأجله، وهذا مذهب الأخفش.

الثالث: أنها متعلقةٌ بمصدرٍ محذوف تقديره: الذين هم رهبتهم لربهم، وهو قول المبرد، وهذا غير جارٍ على قواعد البصريين لأنه يَلْزَمُ منه حَذْفُ المصدر وإبقاءُ معموله وهو ممتنعٌ إلا في شعر، وأيضاً فهو تقديرٌ مُخرِجٌ للكلام عن وجه فصاحته.

الرابع: أنها متعلقةٌ بفعلٍ مقدر أيضاً تقديره: يخشعون لربهم. ذكره أبو البقاء وهو أولى مما قبله"[3].

وهذا الوجه الأخير هو اختيار ابن كثير؛ حيث يعلل سبب زيادة اللام بتضمين فعل الرهبة معنى الخضوع يقول "قوله ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ضمن الرهبة معنى الخضوع، ولهذا عداها باللام"[4].

وأرى أن هذا المعنى هو الأرجح والله أعلم و ذلك حملا على ما يتيحه التضمين من إشراب فعل معنى فعل آخر، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم فيؤدي معنى كلمتين. وهذا هو المتفق مع فصاحة اللغة وروعتها في الإيجاز والاختصار، وكذا دقة ألفاظ القرآن وسمو

---

(1) يوسف الآية 43

(2) هود الآية 107

(3) الدر المصون للسمين الحلبي ج 5 ص472

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 3 ص 478

بيانه المعجز وأسراره البلاغية[1]، وعلى هذا فقد ضمن فعل "يرهبون" معنى "يخضعون" المتعدي بالباء؛ ليكون دليلا على جمع المؤمنين بين صفتين ظاهرة وباطنة وهما الرهبة التي تعني الخوف[2] وهي عمل قلبي، وبين الخضوع الذي يكون في البدن[3] فيكون إيمانهم خالصا لا تشوبه شائبة رياء ولا نفاق.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[4]

وقع الاختلاف بين المفسرين والمعربين فيما يتعلق باللام الداخلة على فعل من أفعال الله، أوالواقعة بعد فعل من أفعاله تعالى وذلك في مثل ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾[5] و﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾[6] ولقد ذرأنا لجهنم "(الآية قيد المدارسة) وغيرها من الآيات التي جاءت في هذا المجال وهو التعلق بفعل من أفعال الله أو تقديره أوامره أو نهيه ونحو ذلك.

وقد ذكر السمين توجيهين لمعنى اللام في قوله تعالى "لجهنم": يقول أحدهما: أنها لامُ الصيرورة والعاقبة، وإنما احتاج هذا القائلُ إلى كونها لامَ العاقبة لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[7] فهذه علةٌ معتبرةٌ محصورة، فكيف تكون هذه العلةُ أيضاً؟

---

(1) مر بنا الحديث عن التضمين في مبحث سابق

(2) لسان العرب ج 20 ص 1748 (مادة رهب)

(3) لسان العرب ج 13 ص 1165 (مادة خشع)

(4) الأعراف الآية 179

(5) آل عمران الآية 178

(6) الأنعام الآية 71

(7) الذاريات الآية 56

والثاني: أنها للعلةِ وذلك أنهم لمّا كان مآلهم إليها جعل ذلك سبباً على طريق المجاز[1].

والتوجيه الأول هو اختيار المعتزلة، قال النسفي "وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فراراً عن إرادة المعاصي عدول عن الظاهر"[2].

ورفض ابن تيمية عدَّ اللام للعاقبة حيث قال "لام العاقبة إنما تجيء في حق من لا يكون عالما بعواقب الأمور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها كآل فرعون[3]، فأما من يكون عالما بعواقب الأفعال ومصايرها فلا يتصور منه أن يفعل فعلا له عاقبة لا يعلم عاقبته وإذا علم أن فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم أنه لا يكون فإن ذلك تمن وليس بإرادة. وأما اللام فهي اللام المعروفة وهي لام كي ولام التعليل التي إذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية وهي متقدمة في العلم والإرادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل"[4].

وقال ابن القيم "وسمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول يستحيل دخول لام العاقبة في فعل الله فإنها حيث وردت في الكلام فهي لجهل الفاعل لعاقبة فعله كالتقاط آل فرعون لموسى فإنهم لم يعلموا عاقبته أو لعجز الفاعل عن دفع العاقبة نحو لدوا للموت وابنوا للخراب" فأما في فعل من لا يعزب عنه مثقال ذرة ومن هو على كل شيء قدير فلا يكون قط إلا لام كي وهي لام التعليل ولمثل هذه الفوائد التي لا تكاد توجد في الكتب يحتاج إلى مجالسة الشيوخ والعلماء"[5].

---

(1) الدر المصون ج 5 ص 520

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج 2 ص 386

(3) يقصد قوله تعالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ (القصص: 8)

(4) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج 8 ص 114

(5) بدائع الفوائد لابن القيم ج 1 ص 175

ومنشأ النزاع بين المعربين هو ادعاء التعارض الذي أشار إليه السمين سابقا بقوله وإنما احتاج هذا القائلُ إلى كونها لامَ العاقبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فهذه علةٌ معتبرةٌ محصورة، فكيف تكون هذه العلةُ أيضاً؟ فقد تمسك كثير ممن ذهب إلى القول بالعاقبة بأنها لو حملت على الغاية والتعليل لكان هذا مناقضا لقوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون)حيث إن اللام فيها للتعليل مما يبين أنه تعالى إنما خلقهم لعبادته و هنا يبين أنه إنما خلق كثيرا من الخلق لعذاب جهنم[1].

وقد أجاب ابن تيمية على ما ادعوه تعارضا فقال لكن ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين: أحدهما الإرادة الكونية وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الإرادة في مثل قوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2] وأمثال ذلك وهذه الإرادة هي مدلول اللام في قوله ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3]، وأما النوع الثاني فهو الإرادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر... فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة[4].

وهذا وجه الجمع بين الغايتين والإرادتين وذلك بأن تكون الغاية والإرادة في آية الذاريات هي الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى المحبة والرضا، ولا تستلزم وقوع المراد بها.فالله تعالى خلق الخلق وهو يريد أن يعبدوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إرادة شرعية

---

(1) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لمحمد السيف ج 2 ص 862

(2) الأنعام الآية 126

(3) هود 118

(4) مجموعة الفتاوي لابن تيمية ج 8 ص 115

تضمنها أمره بالعبادة، ولم يلزمهم بها، فأعـان فريقـا مـنهم عليهـا فتحققـت فـيهم الإرادتـان الشرعية الكونية، ولم يعن آخرين فاختاروا الضلالة لتتحقق فيهم الإرادة الثانية الحتميـة وهـي الإرادة الكونية القدرية التي تستلزم وقوع المراد بها. وهي المنـصوص عليهـا في آيـة الأعـراف بارتكابهم ما يوجب دخولهم النار، فيكونوا مخلوقين لها[1].

---

(1) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لمحمد السيف ج 2 ص 827

الفصل الثالث

الحرفان "الكاف" و "الواو"

المبحث الأول: حرف الكاف

المبحث الثاني: حرف الواو ومعانيهما في سورة الأعراف

المبحث الأول

حرف الكاف

ذكر ابن هشام للكاف المفردة الجارة ، خمسة معان[1]

وقد وردت جميعها في الأعراف باستثناء معنى الاستعلاء. وفيما يلي بيان ذلك:

أحدها : التشبيه

نحو (زيد كالأسد).

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[2]

وعن معنى قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يقول ابن عطية "(أولئك) إشارة إلى من تقدم ذكره من الكفرة، وشبههم بالأنعام، في أن الأنعام لا تفقه قلوبهم الأشياء ولا تعقل المقاييس، وكذلك ما تبصره لا يتحصل لها كما يجب، فكذلك هؤلاء ما يبصرونه ويسمعونه لا يتحصل لهم منه علم على ما هو به حين أبصر وسمع"[3].

---

(1) مغني اللبيب لابن هشام ج 3 ص 7

(2) الأعراف الآية 179

(3) المحرر الوجيز لابن عطية ج 2 ص 480

والثاني: التعليل

أثبت ذلك قوم، ونفاه الأكثرون وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بما، كحكاية سيبويه (كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه) وضابطها أيضا "هو حين يكون ما بعد الباء سببا وعلة فيما قبلها مع وجود معنى التشبيه وتسمى كذلك كاف السببية"[1].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝﴾[2]

قال السمين "ويجوز في قوله ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ أن تكونَ الكافُ للتعليل أي: تركناهم لأجل نسيانهم لقاءَ يومهم"[3].

وذكر الألوسي أيضا أن الكاف للتعليل و بين طرفي التشبيه فقال "وذهب غير واحد إلى أن الكاف للتعليل متعلق بما عنده لا للتشبيه إذ يمنع منه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ لأنه عطف على "مَا نَسُواْ" وهو يستدعي أن يكون مشبهاً به النسيان مثله. والمعنى على ذلك قوله أي ننساهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء هذا اليوم العظيم الذي لا ينبغي أن ينسى. وليس الكلام على حقيقته أيضاً لأنهم لم يكونوا ذاكري ذلك حتى ينسوه بل شبه عدم إخطارهم يوم القيامة ببالهم وعدم استعدادهم له بحال من عرف شيئاً ثم نسيه"[4].

وقد غلّط الألوسي من قال إن المشبه به هو الجحود وردّ المعنى المترتب على ذلك فقال "

---

(1) معجم معاني الحروف ج2 ص 794

(2) الأعراف الآية 51

(3) الدر المصون للسمين ج5 ص 336

(4) روح المعاني للألوسي ج 8 ص 127

وتشبيه النسيان بالجحود غير ظاهر، ومن ادعاه قال: المراد نتركهم في النار تركاً مستمراً كما كانوا منكرين أن الآيات من عند الله تعالى إنكاراً مستمراً"[1].

وبين ابن عاشور سبب اختيار معنى التعليل فقال "ودلّ معنى كاف التّشبيه في قوله: ﴿كَمَا نَسُوا﴾ على أنّ حرمانهم من رحمة الله كان مماثلاً لإهمالهم التّصديق باللّقاء، وهي مماثلَة جزاءِ العملِ للعمل، وهي مماثلة اعتباريّة، فلذلك يقال: إنّ الكاف في مثله للتّعليل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾[2] وإنّما التّعليل معنى يتولّد من استعمال الكاف في التّشبيه الاعتباري، وليس هذا التّشبيه بمجاز، ولكنّه حقيقة خفيّة لخفاء وجه الشّبه"[3].

الثالث: المبادرة،

وذلك إذا اتصلت بـ "ما" في نحو (سلم كما تدخل).

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[4]

يوضح ابن عاشور دلالة الكاف ومعناها في الآية فيقول "والتشبيه في قوله: ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أرادوا به حَض موسى على إجابة سؤالهم، وابتهاجاً بما رأوا من حال القوم

---

(1) المصدر والصفحة نفسها
(2) البقرة الآية 198
(3) التحرير والتنوير ج 8 ص 151
(4) الأعراف الآية 138

الذين حَلّوا بين ظهرانيهم وكفَى بالأمة خسّةَ عقول أن تعُد القبيح حسناً، وأن تتخذ المظاهر المزيّنة قدوة لها، وأن تنخلع عن كمالها في اتباع نقائص غيرها"[1].

أما عن المشبه به فيتنوع بحسب تعدد التوجيهات النحوية لـ "ما" ومن ذلك حسب ابن عاشور أن تكون (ما) مصدرية غير زمانية، والجملة بعدها في تأويل مصدر، والتقدير كوجود آلهة لهم"[2].

وزاد السمين أنها موصولةٌ حرفية أي: تَتأوَّل بمصدرٍ، وعلى هذا فصلتُها محذوفة، وإذا حُذِفت صلة "ما" المصدرية فلا بد من إبقاء معمولِ صلتها كقولهم: "لا أكلِّمكَ ما أنَّ حِراءَ مكانَه" أي: ما ثبت أن حراء مكانه. وكذا هنا تقديره: كما ثبت لهم آلهة، فآلهة فاعل بـ "ثبت" المقدر.

أو أن تكون "ما" بمعنى الذي، والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة"[3].

والرابع التوكيد،

وهي الزائدة نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4] قال الأكثرون: التقدير ليس شئ مثله، إذ لو لم تقدر زائدة صار المعنى ليس شئ مثل مثله، فيلزم المحال. وهو إثبات المثل، وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيا.

---

(1) التحرير والتنوير ج 9 ص 81

(2) المصدر والصفحة نفسها

(3) الدر المصون للسمين ج 5 ص 442

(4) الشورى الآية 11

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[1]

عد صاحب معجم معاني الحروف الكاف في هذه الآية دالة على التوكيد، وضابطها أن تكون الكاف زائدة نحويا على سبيل الجواز باقترانها باللفظ مثل الذي يفيد التشبيه. وقالوا عندئذ إن التشبيه يتكرر فيصبح دخول الكاف نحويا كخروجها، ولكنها من حيث المعنى أفادت معنى إضافيا وهو توكيد هذا التشبيه، فسميت كاف التوكيد[2].

وقال ابن عاشور واستعمال القرآن لفظ المثل بعد كاف التشبيه مألوف بأنه يراد به تشبيه الحالة بالحالة، وتقدم قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[3]، فلذلك تعين أن التشبيه هنا لا يخرج عن المتعارف في التشبيه المركب،...وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن[4].

---

(1) الأعراف الآية 176

(2) معجم حروف المعاني لمحمد حسن الشريف ج 2 ص 795

(3) سورة البقرة الآية 16

(4) التحرير والتنوير ج9 ص 177

المبحث الثاني

حرف "الواو"

قال ابن هشام في مغني اللبيب "واو القسم، لا تدخل إلا على مظهر، ولا تتعلق إلا بمحذوف، نحو ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1] فإن تلتها واو أخرى نحو ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾[2] فالتالية واو العطف، وإلا لاحتاج كل من الاسمين إلى جواب"[3].

"وكل حرف من أحرف القسم الأربعة هو ومجروره يتعلقان معا بالعامل "أحلف" أو "أقسم" أو: نحوهما من كل فعل يستعمل في القسم، ومن فعل القسم وفاعله تتكون الجملة الفعلية الإنشائية التي هي "جملة القسم"... ولابد لجملة القسم من جملة بعدها تسمى "جواب القسم"[4].

وفي الآيات الست التي وردت في الأعراف نجد أن جملة جواب القسم جاءت جملا فعلية فعلها ماض ومتصرف ومثبت وقد وردت كما في الكثير الفصيح مقترنة باللام و"قد" معا[5].

وتسمى هذه اللام المفتوحة "لام جواب القسم" أو الداخلة على جوابه".

---

(1) يس الآية 2

(2) التين الآية 1

(3) مغني اللبيب لابن هشام ج 4 ص 385

(4) النحو الوافي ج2 ص 498

(5) كما قال عباس حسن "بأن الكثير الفصيح يرد على تلك الصورة" النحو الوافي ج 2 ص499

من شواهد الواو في الأعراف

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[1]

قال ابن عاشور هذه الآية عطف على جملة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2] فهذا تذكير لهم بأن الله هو ولي الخلق، لأنّه خالقهم على وجه الأرض، وخالق ما به عيشهم الذي به بقاء وجودهم إلى أجل معلوم، وتوبيخ على قلّة شكرها، كما دلّ عليه تذييل الجملة بقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فإنّ النّفوس التي لا يزجرُها التّهديد قد تنفعها الذكريات الصّالحة... وتأكيد الخبر بلام القسم وقد، المفيد للتّحقيقِ، تنزيلٌ للذين هم المقصود من الخطاب منزّلة من ينكر مضمون الخبر لأنّهم لما عَبدوا غير الله كان حالهم كحال من ينكر أنّ الله هو الذي مكّنهم من الأرض، أو كحال من ينكر وقوع التمكين من أصله[3].

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[4]

قال ابن عاشور الواو في ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ عاطفة هذه الجملة على جملة ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾[5]، عطف القصّة على القصّة، والغرضِ على الغرض، فهو كلام أنف انتقل به من غرض الخبر عن حال المشركين في الآخرة إلى غرض وصف أحوالهم في الدّنيا، المستوجبين بها لما سيلاقونه في الآخرة، وليس هو من الكلام الذي عقب الله به كلام أصحاب الجنّة في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[6] لأنّ

---

(1) الأعراف الآية 10

(2) الأعراف الآية 3

(3) التحرير والتنوير ج 8 ص 33

(4) الأعراف الآية 52

(5) الأعراف الآية 49

(6) الأعراف الآية 50

قوله هنا ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾[1]، يقتضي أنّه حديث عن إعراضهم عن القرآن في الدّنيا، فضمير الغائبين في قوله: ﴿جِئۡنَٰهُم﴾ عائد إلى الذين كذّبوا في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[2]. وتأكيد هذا الفعل بلام القسم و(قَدْ) إمّا باعتبار صفة (كتاب)، وهي جملة ﴿فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ فيكون التّأكيد جارياً على مقتضى الظّاهر، لأنّ المشركين ينكرون أن يكون القرآن موصوفاً بتلك الأوصاف، وإمّا تأكيد لفعل ﴿جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾ وهو بلوغ الكتاب إليهم فيكون التأكيد خارجاً على خلاف مقتضى الظاهر، بتنزيل المبلّغ إليهم منزلة من ينكر بلوغ الكتاب إليهم، لأنّهم في إعراضهم عن النّظر والتّدبر في شأنه بمنزلة من لم يبلغه الكتاب، وقد يناسب هذا الاعتبار ظاهر قوله بعد: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾[3][4].

---

(1) الأعراف الآية 52

(2) الأعراف الآية 39

(3) الأعراف الآية 52

(4) التحرير والتنوير ج8 ص151

الباب الثاني

حروف الجر الثنائية ومعانيها في سورة الأعراف

الفصل الأول

حرف من

1- المبحث الأول: معاني حرف "من" وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني : اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف "من"

أ- المطلب الأول: متعلق حرف "من"

ب- المطلب الثاني: معنى حرف "من"

المبحث الأول

معاني حرف "من" وشواهدها من سورة الأعراف

قال ابن هشام في المغني: (من) تأتى على خمسة عشر وجها هي ابتداء الغاية والتبعيض وبيان الجنس والتعليل والبدل ومرادفة عن ومرادفة الباء ومرادفة في وموافقة عند، ومرادفة ربما ومرادفة على، والفصل والغاية والتنصيص على العموم، وهى الزائدة وتوكيد العموم[1].

وسنكتفي بإيراد المعاني التي وردت شواهدها في سورة الأعراف وهي ستة وجاءت كالآتي:

أولها ابتداء الغاية،

وهو الغالب عليها، حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان، نحو ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2]، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ﴾[3]. قال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه: وفى الزمان أيضا، بدليل ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[4].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[5]

---

(1) مغني اللبيب ج 4 ص 136

(2) الإسراء الآية 1

(3) النمل الآية 30

(4) التوبة الآية 108

(5) الأعراف الآية 62

يقول ابن عاشور في تفسير قوله ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ إن ﴿مِنَ﴾ ابتدائية فيكون المعنى: أي صار لي علم وارد من الله تعالى.."[1].

الثاني: التبعيض،

نحو ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[2]. وعلامتها إمكان سد بعض مسدها، كقراءة ابن مسعود ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾[4]

يختار الرازي معنى التبعيض لـ "من" في قوله تعالى ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ فيقول "وقال المفسرون: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ الكبراء والسادات الذين جعلوا أنفسهم أضداد الأنبياء، والدليل عليه أن قوله ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ يقتضي أن ذلك الملأ بعض قومه، وذلك البعض لا بد وأن يكونوا موصوفين بصفة لأجلها استحقوا هذا الوصف، وذلك بأن يكونوا هم الذين يملؤن صدور المجالس، وتمتلىء القلوب من هيبتهم، وتمتلىء الأبصار من رؤيتهم، وتتوجه العيون في المحافل إليهم، وهذه الصفات لا تحصل إلا في الرؤساء، وذلك يدل على أن المراد من الملأ الرؤساء والأكابر"[5].

---

(1) التحرير والتنوير ج 8 ص 195

(2) البقرة الآية 253

(3) الآية المتواترة ﴿لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران الآية 92

(4) الأعراف الآية 60

(5) مفاتيح الغيب للرازي ج 14 ص 156

الثالث: بيان الجنس،

وكثيرا ما تقع بعد ما ومهما، وهما بها أولى: لإ فراط إبهامهما نحو ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[1]، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾[2] وهي ومخفوضها في ذلك في موضع نصب على الحال، ومن وقوعها بعد غيرهما ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[3].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾[4]

يوضح ابن عاشور معنى الآية مستثمرا معنى "من" البيانية للجنس فيقول "وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي من بني آدم، وهذا تنبيه لبَني آدم بأنّهم لا يترقّبون أن تجيئهم رسل الله من الملائكة لأنّ المرسَل يكون من جنس من أرسل إليهم، وفي هذا تعريض بالجهلة من الأمم الذين أنكروا رسالة الرّسل لأنّهم من جنسهم"[5].

---

(1) سورة فاطر الآية 2

(2) الأعراف الآية 132

(3) الكهف الآية 31

(4) الأعراف الآية 35

(5) التحرير والتنوير ج 8 ص 108

الرابع: التعليل،

وذلك حين تكون "من" بمعنى "اللام" فيكون ما بعدها سببا وعلة لما يرد في سياقها[1] نحو ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾[2].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[3]

تفيد "مِنْ" عند السمين الحلبي في قوله (حرج منه) معنى السببيَّة والمعنى أي: حَرَجٌ بسببه تقول: حَرِجْتُ منه أي: ضِقْتُ بسببه[4].

الخامس: مرادفة

في، نحو ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[5].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٧٤﴾[6]

---

(1) معجم حروف المعاني لمحمد حسن الشريف ج 3 ص 1041

(2) سورة نوح الآية 26

(3) الأعراف الآية 1

(4) الدر المصون للسمين الحلبي ج 5 ص 241

(5) الأحقاف الآية 3

(6) الأعراف الآية 73

أورد الألوسي ما تحتمله الآية من معاني حرف "من" وبدأ بمعنى الظرفية محل الشاهد عندنا فقال في معنى قوله تعالى ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي تبنون في سهولها مساكن رفيعة. فمن بمعنى "في" كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾[1] ويجوز أن تكون ابتدائية أوتبعيضية أي تعملون القصور من مادة مأخوذة من السهل كاللبن والآجر المتخذين من الطين[2].

الخامس عشر: توكيد العموم،

وهى الزائدة في نحو "ما جاءني من أحد،

شاهده من سورة الأعراف:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[3]

يقول ابن عاشور "و ﴿مِن﴾ زائدة للتّوكيد. على جميع التّقادير. فتفيد توكيد العموم في المستفهم عنه، ليفيد أنّهم لا يسألون عمن توهموهم شفعاء من أصنامهم، إذ قد يئسوا منهم. كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾[4] بل

---

(1) الجمعة الآية 9

(2) روح المعاني للالوسي ج 8 ص 163

(3) الأعراف الآية 53

(4) الأنعام الآية 95

هم يتساءلون عن أي شفيع يشفع لهم. ولو يكون الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الذي ناصبوه العَداء في الحياة الدّنيا[1].

---

[1] التحرير والتنوير ج 8 ص 156

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف "من"

أ- المطلب الأول: متعلق حرف "من"

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾[1]

تعددت توجيهات المعربين لمتعلق "من" في قوله تعالى ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقد أورد السمين الحلبي ثلاثة أوجه، اثنين منها يجمعان بين سلامة المعنى وموافقة القواعد النحوية يقول "قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ، أحدُها: أنه متعلِّقٌ بمحذوفٍ لأنه حالٌ من "الرجال" أي: أتأتونهم منفردين عن النساء. والثاني: أنه متعلِّقٌ بشهوة قاله الحوفي. وليس بظاهرٍ أن تقولَ: "اشتهيت من كذا"، إلا بمعنىً غيرِ لائق هنا. والثالث: أن يكونَ صفةً لشهوة أي: شهوةً كائنة من دونهن"[2].

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[3]

جاء في هذا الشاهد مثال على جواز تعلق حرفين للجر متحدي اللفظ وهما "من" في قوله ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ و﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بعامل واحد وذلك بعد تحقق شرط اختلاف معنييهما حيث جاءت "من" الأولى للابتداء والثانية بمعان أخر. يقول السمين "قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ أي: من بعد مضيِّه وذهابه إلى الميقات. والجارَّان متعلقان بـ ﴿ٱتَّخَذَ﴾، وجاز

---

[1] الأعراف الآية 81

[2] الدر المصون للسمين ج 8 ص 372

[3] الأعراف الآية 148

أن يتعلّقَ بعاملٍ حرفا جر متحدا اللفظِ لاختلافِ معنييهما؛ لأنَّ الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض. وقيل إن "من" الثانية محتملة للتبعيض أو لبيان الجنس كما أورد ذلك أبو السعود "قوله ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد ذهابه إلى الطور ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ متعلقٌ بـ "اتخذ" كالجارِّ الأول لاختلاف معنييهما فإن الأولَ للابتداء والثاني للتبعيض أو للبيان"[1].

وذكر السمين وجها آخر للمتعلق به وذلك عند احتمال "من" أن تكون لابتداء الغاية كما اختار لها ذلك بعضهم[2] فقال "ويجوز أن يكون ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ متعلقاً بمحذوف على أنه حالٌ من " عملاً " لأنه لو تأخر عنه لكان صفةً فكان يقال: عجلاً مِنْ حليهم"[3].

ب- المطلب الثاني: معنى حرف (من)

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[4]

اختلف المفسرون في معنى "من" في كلمة "منه" لاختلافهم في عود ضمير الغائب فيها. يقول القرطبي "والهاء في (مِنه) للقرآن. وقيل للإنذار؛ أي أنزل إليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه. فالكلام فيه تقديم وتأخير. وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوّة الكلام. أي فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له"[5].

(1) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج2 ص 405

(2) أورد هذا التوجيه الألوسي عند تفسيره الآية يقول "فإن الأول للابتداء والثاني للتبعيض، وقيل: للابتداء أيضاً، روح المعاني ج 9 ص 62

(3) الدر المصون ج 5 ص 459

(4) الأعراف الآية 1

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج9 ص 150

فمن جعل الضمير عائدا على الكتاب عدّ "من" سببية يقول السمين الحلبي "و"مِنْ" سببيَّة أي: حَرَجٌ بسببه تقول: حَرِجْتُ منه أي: ضِقْتُ بسببه"[1]، "يبين أبو حيان دلالة الآية تبعا لمعنى السببية فيقول "ونهيه تعالى أن يكون في صدره حرج منه أيّ من سببه؛ لما تضمنه من أعباء الرسالة وتبليغها لمن لم يؤمن بكتاب ولا اعتقد صحة رسالة وتكليف الناس أحكامها، وهذه أمور صعبة ومعانيها يشق عليه ذلك"[2].

أما ابن عاشور فجعل "من" ابتدائية بتقدير مضاف يعود عليه الضمير وهو إنكار وجحود المشركين يقول و(مِنْ) ابتدائيّة، أي حرج ينشأ ويسري من جرّاء المذكور، أي من تكذيب المكذّبين به، فلمّا كان التّكذيب به من جملة شؤونه، وهو سبب الحرج، صح أن يجعل الحرج مسبّباً عن الكتاب بواسطة. والمعنى على تقدير مضاف أي حرج من إنكاره أي إنكار إنزاله من الله"[3].

والقول الراجح - والله أعلم - هو الأول أي بجعل الضمير عائدا على الكتاب لأن إعادة الضمير على منطوق به أولى من عودته على مضمن ومفهوم من السياق كما سلف من كلام ابن مالك.

وعلى هذا التقدير يكون معنى الآية كما بينه ابن كثير في تفسيره "قوله ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي: شك منه. وقيل: لا تتحرج به في إبلاغه والإنذار به"[4].

---

(1) الدر المصون ج5 ص 241

(2) البحر المحيط ج4 ص 267

(3) التحرير والتنوير ج 8 ص 13

(4) تفسير ابن كثير ج 3 ص 387

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾[1]

تعددت معاني "من" في قوله تعالى "من الماء" بتعدد احتمالات تعدي ولزوم الفعل "أفاض" الذي تعلق به الحرف، حيث جوز المعربون والمفسرون أن يكون متعديا بنفسه أو بحرف الجر ويحمل حينها على التضمين أو أن يكون لازما. يقول السمين الحلبي "و(من الماء) متعلق بأفيضوا على أحدِ وجهيه: إمَّا على حذف مفعول أي: شيئاً من الماء فهي تبعيضيةٌ، طلبوا منهم البعضَ اليسير، "فجعل السمين الفعل (أفاض) متعديا بنفسه وأضاف " وإمَّا على تضمين ﴿أَفِيضُوا۟﴾ معنى ما يتعدَّى ب (مِنْ) أي: أنعموا منه بالفيض"[2].

وأورد ابن عاشور الاحتمال الثالث لمعنى الفعل (أفاض) حيث قال "ويجوز عندي أن يحمل الفيض على المعنى المجازي، وهو سعة العطاء والسّخاء، من الماء والرزق، إذ ليس معنى الصبّ بمناسب بل المقصود الإرسال والتّفضل، ويكون العطف عطف مفرد على مفرد وهو أصل العطف. ويكون سُؤلهم من الطّعام مماثلاً لسؤلهم من الماء في الكثرة، فيكون في هذا الحمل تعريض بأن أصحاب الجنّة أهل سخاء، وتكون (مِن) على هذا الوجه بيانية لمعنى الإفاضة، ويكون فعل ﴿أَفِيضُوا۟﴾ مُنزلاً منزلة اللاّزم، فتتعلّق مِنْ بفعل" ﴿أَفِيضُوا۟﴾[3].

والمختار الذي عليه جمع من المفسرين أن "من" تبعيضية لإمكان سد "بعض" مسدها كما جاء عند الشوكاني "قوله: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ طلبوا منهم أن يواسوهم بشيء من الماء، أوبشيء مما رزقهم الله من غيره من الأشربة أو الأطعمة"[4].

---

(1) الأعراف الآية 50

(2) الدر المصون ج 5 ص 333

(3) التحرير والتنوير ج 8 ص 148

(4) فتح القدير للشوكاني ص 477

الفصل الثاني

حرف في

1- المبحث الأول: معاني حرف " في" وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني : اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف "في"

أ- المطلب الأول: متعلق حرف "في"

ب- المطلب الثاني: معنى حرف "في"

المبحث الأول

معاني حرف "في" وشواهدها من سورة الأعراف

قال ابن هشام في المغني "(في): حرف جر، له عشرة معان: وهي الظرفية والمصاحبة والتعليل والاستعلاء ومرادفة الباء ومرادفة (إلى) ومرادفة (من) والمقايسة والتعويض والتوكيد"[1].

وقد وردت في الأعراف شواهد خمسة معان وجاءت على النحو التالي:

أحدها: الظرفية،

وهى إما مكانية أو زمانية، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾[2] أو مجازية نحو ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾[3].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝﴾[4]

قال ابن عاشور "وظرفية ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ مجازية تعبيراً عن تمكّن وصف الضّلال منه حتّى كأنّه محيط به من جوانبه إحاطة الظرف بالمظروف"[5].

---

(1) مغني اللبيب ج 2 ص 513

(2) الروم الآية 1

(3) البقرة الآية 179

(4) الأعراف الآية 60

(5) التحرير والتنوير ج 8 ص 191

الثاني: المصاحبة بمعنى "مع".

شاهده من سورة الأعراف:

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾[1]

أورد السمين معنى المصاحبة للحرف "في" ضمن ما ذكره من توجيهات للآية فقال "إمّا أنّ "في" الأولى ليست للظرفية بل للمعيَّة، كأنه قيل: ادخلوا مع أممٍ أي: مصاحبين لهم في الدخول، وقد تأتي "في" بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾[2][3].

والثالث: التعليل

نحو ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾[4] و﴿لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ﴾[5].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾[6]

---

(1) الأعراف الآية 38

(2) الأحقاف الآية 15

(3) الدر المصون ج 5 ص 312

(4) يوسف الآية 32

(5) النور الآية 14

(6) الأعراف الآية 64

قال السمين الحلبي[1] وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾: يجوز أن يتعلّق بأنجيناه أي: أنجيناه في الفلك. ويجوز أن تكونَ "في" حينئذ سببيةً أي: بسبب الفُلْك كقوله: إنَّ امرأةً دخلت النار في هرة[2].

الرابع: الاستعلاء

نحو ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[3].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[4]

قال الطبري قوله ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي على السموات والأرض.

قال أبو جعفر: وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه أحداً منهم. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

---

(1) الدر المصون ج 5 ص 357

(2) متفق عليه, أخرجه البخاري في كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ بَاب خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الحرم برقم 3092 ومسلم في كِتَاب السَّلَامِ بَاب تَحْرِيمِ قَتْلِ الْهِرَّةِ برقم 4167

(3) طه الآية 70

(4) الأعراف الآية 187

عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وأخبر بعده أنها لا تأتي إلاّ بغتة، فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك[1].

الخامس: مرادفة

إلىٰ نحو ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[2]

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾[3]

اختار صاحب معجم حروف المعاني في القرآن أن تكون "في" هنا بمعنى "إلى" كما سيتبين عند إيراد اختياراته اختياراته في آخر البحث. ويوضح ابن عاشور أن مجيء الفعل "أرسل" متعديا بحرف الجر "إلى" جاء لنكتة بديعة، يقول "وعُدّيَ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بـ (في) دون (إلى) لأن المراد بالقرية حقيقتها، وهي لا يرسل إليها وإنما يرسل فيها إلى أهلها، فالتقدير: وما أرسلنا في قرية من نبيء إلى أهلها إلاّ أخذنا أهلها فهو كقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً﴾[4][5].

---

(1) جامع البيان للطبري ج 13 ص 296

(2) إبراهيم الآية 12

(3) الأعراف الآية 94

(4) القصص الآية 59

(5) التحرير والتنوير ج9 ص 16

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف "في"

أ- المطلب الأول: متعلق حرف "في"

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1]

تعددت توجيهات المعربين لمتعلق حرف الجر "في" الوارد في موضعين من الآية وهما قوله تعالى "في أمم" وقوله ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ كما اختلفوا في معنى الحرف أيضا. ويورد أبو حيان الاحتمالات الممكنة للمتعلّق به التي لا يرد عليها إشكال لا من جهة المعنى ولا من جهة الصناعة النحوية، ويربط بين ذلك التقدير ويبين المعنى المترتب عليه فيقول "ويتعلق ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾ في الظاهر بـ"ادخلوا" والمعنى (في جملة أمم)، ويحتمل أن يتعلق بمحذوف فيكون في موضع الحال و "في النار" متعلق بـ"خلت" على أنّ المعنى: تقدّم دخولها. أو بمحذوف وهو صفة لأمم أي: في أمم سابقة في الزمان كائنة من الجنّ والإنس كائنة في النار"[2].

وفي هذه التوجيهات نلاحظ تعدد المتعلق به في كلا الموضعين وتكون "في" فيهما معا بمعنى الظرفية. ثم يضيف أبو حيان وجها ثالثا يكون فيه المتعلق به واحدا في قوله "في أمم" و"في النار" وهو الفعل "ادخلوا" وهنا يرد الاعتراضُ المشهور: وهو كيف يتعلّق حرفا جر متحدا اللفظ والمعنى بعاملٍ واحد؟ فيُجيب أبو حيان بأحد وجهين فيقول "أو (يتعلقا) بـ"ادخلوا" على تقدير أن تكون "في" بمعنى "مع" وقد قاله بعض المفسرين فاختلف مدلول "في" إذ الأولى تفيد

---

(1) الأعراف الآية 38

(2) البحر المحيط ج 4 ص 297

الصحبة والثانية تفيد الظّرفية وإذا اختلف مدلول الحرف جاز أن يتعلق اللفظان بفعل واحد ويكون إذ ذاك ﴿ٱدۡخُلُوا﴾ قد تعدّى إلى الظرف المختص بفي وهو الأصل، ويجوز أن تكون "في" باقية على مدلولها من الظرفية و ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ كذلك ويتعلّقان بلفظ ﴿ٱدۡخُلُوا﴾ وذلك على أن يكون ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال كقوله ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝ ٱلنَّارِ﴾[1] ويجوز أن يتعدّى الفعل إلى حرفي جرّ بمعنى واحد على طريقة البدل"[2].

واعترض الشنقيطي على هذا الاختيار الثاني الذي أورده الأندلسي حيث قال "قال بعض العلماء "في النار" بدل من قوله "في أمم" والظاهر أن الصواب أنها ليست بدلا منها، وأن المعنى: ادخلوا في جملة أجناسكم من الكفرة، ادخلوا أنتم وهم في النار"[3].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٣﴾[4]

اختلف المعربون في متعلق الحرف في قوله﴿فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ ومرجع اختلافهم في توجه كلا العاملين وهما الفعلان "ذروها" و"تأكل" إلى معمول واحد وهو﴿فِيٓ أَرۡضِ﴾. يقول السمين "قوله: ﴿فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ الظاهرُ تعلُّقه بـ"تأكل" وقيل: يجوز تعلُّقه بقوله ﴿فَذَرُوهَا﴾، وعلى هذا فتكونُ المسألة من التنازع وإعمال الثاني، ولو أعمل الأول لأضمر في الثاني فقال: تأكل فيها في أرض الله"[5].

---

(1) البروج الآية 4

(2) البحر المحيط ج 4 ص 297

(3) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ج 3 ص 1125

(4) الأعراف الآية 73

(5) الدر المصون ج 5 ص 362

ومردُّ تعدد التوجيهات في الآية هو الخلاف الكوفي والبصري حول مسألة التنازع. وقد اتفق البصريون والكوفيون على جواز إعمال أي العاملين شئت، ثم اختلفوا في المختار، قال الرضي البصريون يقولون: المختار إعمال الثاني مع تجويز إعمال الأول، وكذا الكوفيون: يختارون إعمال الأول مع تجويز إعمال الثاني. وإنما اختار البصريون إعمال الثاني لأنه أقرب الطالبين إلى المطلوب. وقال الكوفيون: إعمال الأول أولى لأنه أول الطالبين، واحتياجه إلى ذلك المطلوب أقدم من احتياج الثاني، ولا شك مع الاستقراء أن إعمال الثاني أكثر في كلامهم[1].

وعلى هذا فمذهب البصريين أرجح وأنسب لمعنى الآية يقول أبو السعود في تفسيره للآية ﴿فَذَرُوهَا﴾ تفريعٌ على كونها آيةً من آيات الله تعالى فإن ذلك مما يوجب عدم التعرّضِ لها. وقوله ﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ جوابُ الأمر اي الناقةُ ناقةُ الله والأرضُ أرضُ الله تعالى فاتركوها تأكلْ ما تأكلُ في أرض ربِّها فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها[2].

ب- المطلب الثاني: معنى حرف "في"

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾[3]

قال السمين "(عاد) لها في لسانهم استعمالان: أحدهما وهو الأصلُ أنه الرجوعُ إلى ما كان عليه من الحال الأول. والثاني استعمالُها بمعنى صار، وحينئذ ترفعُ الاسمَ وتنصِبُ الخبرَ".

---

(1) شرح الرضي على الكافية ج 1 ص 204

(2) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج 2 ص 363

(3) الأعراف الآية 88

ويضيف "وأما إذا جَعَلْناها بمعنى صيَّر فلا إشكال في ذلك، إذ المعنى: لَتَصيرُنَّ في ملَّتنا بعد أن لم تكونوا، ففي مِلَّتنا حالٌ على الأول، خبر على الثاني، وعدَّى "عاد" بـ "في" الظرفيةِ كأن المِلَّةَ لهم بمنزلةِ الوعاءِ المحيط بهم"[1].

أما على المعنى الأول لفعل "عاد" الذي أورده السمين الحلبي فيتبادر إشكال عقدي كبير يوضحه الرازي بقوله "قوله تعالى ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ يدل على أنه عليه السلام كان على ملتهم التي هي الكفر، فهذا يقتضي أنه عليه السلام كان كافراً قبل ذلك، وذلك في غاية الفساد، وقوله: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم .... ﴿٨٩﴾﴾ يدل أيضاً على هذا المعنى"[2].

وقد حاول الرازي الإجابة على ظاهر الإشكال في الآية فقال "والجواب من وجوه:

الأول: أن أتباع شعيب كانوا قبل دخولهم في دينه كفاراً فخاطبوا شعيباً بخطاب أتباعه وأجروا عليه أحكامهم.

الثاني: أن رؤساءهم قالوا ذلك على وجه التلبيس على العوام يوهمون أنه كان منهم، وأن شعيباً ذكر جوابه على وفق ذلك الإيهام.

الثالث: أن شعيباً في أول أمره كان يخفي دينه ومذهبه، فتوهموا أنه كان على دين قومه.

الرابع: لا يبعد أن يقال: إن شعيباً كان على شريعتهم، ثم إنه تعالى نسخ تلك الشريعة بالوحي الذي أوحاه إليه.

الخامس: المراد من قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ اي لتصيرن إلى ملتنا فوقع العود بمعنى الابتداء. تقول العرب: قد عاد إلي من فلان مكروه، يريدون قد صار إلي منه المكروه ابتداء"[3].

---

(1) الدر المصون ج 5 ص 379

(2) تفسير الرازي ج 14 ص 184

(3) تفسير الرازي ج 14 ص 184

وأقول: إن الوجه الأول الذي أورده الفخر الرازي هو ما اختاره الزمخشري حيث يقول "كيف خاطبوا شعيباً عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ وكيف أجابهم بقوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ .... ﴿٨٩﴾﴾والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر إلاّ ما ليس فيه تنفير، فضلاً عن الكبائر، فضلاً عن الكفر؟ قلت: لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ﴾ فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ فغلبوا الجماعة على الواحد، فجعلوهم عائدين جميعاً، إجراءً للكلام على حكم التغليب. وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ...... ﴿٨٩﴾﴾ وهو يريد عود قومه، إلاّ أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب"[1].

وأما الوجه الرابع الذي أورده الرازي هو ما رجحه ابن تيمية حيث يقول: "قوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾، ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا .... ﴿٨٩﴾﴾ ظاهره دليل على أن شعيبا والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم .. ثم يقول "التحقيق: أن الله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب كما في حديث هرقل. ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم إذا كان معروفا بالصدق والأمانة وفعل ما يعرفون وجوبه وترك ما يعرفون قبحه. قال تعالى

---

[1] الكشاف للزمخشري ج 2 ص 474

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً﴾[1] فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم، ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحا. وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر، والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلا عن أن تقر به. قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾[2]. وقال: ﴿يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[3] فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق وكلاهما عرفوه بالوحي. وما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي فإنه سيد ولد آدم والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر كما كان نوح وإبراهيم[4].

وذكر بعض المفسرين وجها آخر يُحمل المعنى عليه، وهو تضمين الفعل "عاد" معنى فعل "دخل" المتعدي بحرف الجر "في". يقول الزركشي "وقوله ﴿أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ ضمّن معنى "لتدخلن" أو لتصيرن أما قول شعيب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ فليس اعترافا بأنه كان فيهم، بل مؤول على ما سبق"[5] أي على التضمين. وهذا اختيار السمرقندي أيضا إذ يقول ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي: لتدخلن في ديننا الذي نحن عليه[6]. وكذا اختيار البغوي الذي قال "فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَوۡ لَتَعُودُنَّ

---

(1) الإسراء الآية 15

(2) النحل الآية 2

(3) غافر الآية 15

(4) مجموعة الفتاوى ج 15 ص 20-21. وقد أفاض في الحديث عن هذه الآية في كتابه تفسير آيات أشكلت ج 1 ص 160 وفصّل القول في النزاع المشهور حول عصمة الأنبياء قبل وبعد البعثة.

(5) البرهان للزركشي ص 836

(6) تفسير بحر العلوم للسمرقندي ج 1 ص 555

فِى مِلَّتِنَا﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾، ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟

قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها[1].

(1) معالم التنزيل تفسير البغوي ص 478

الفصل الثالث

حرف عن

1- المبحث الأول: معاني حرف "عن" وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني: اختلاف المفسرين في توجيه معاني "عن"

المبحث الأول

معاني حرف "عن" وشواهدها من سورة الأعراف

قال ابن هشام في المغني "(عن) على ثلاثة أوجه: أحدها: أن تكون حرف جر، وجميع ما ذكر لها عشرة معان: وهي المجاوزة والبدل والاستعلاء والتعليل ومرادفة (بعد) والظرفية ومرادفة (من) ومرادفة الباء والاستعانة وأن تكون زائدة"[1].

ولم يرد في سورة الأعراف إلا ما يناسب معنى (المجاوزة) و(مرادفة الباء)

أولا: المجاوزة،

ولم يذكر البصريون سواه، نحو (سافرت عن البلد) و(رغبت عن كذا) و(رميت السهم عن القوس)

شاهده من سورة الأعراف:

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[2]

يقول ابن عاشور في التحرير " وعُلّق ﴿بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ و﴿خَلۡفِهِمۡ﴾ بحرف (مِن) وعلّق ﴿أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ و﴿شَمَآئِلِهِمۡ﴾ بحرف "عن" جرياً على ما هو شائع في (لسان العرب) في تعدية الأفعال إلى أسماء الجهات، وأصل (عن) في قولهم: عن يمينه وعن شماله المجاوزة: أي من جهة يمينه مجاوِزا له ومجافياً له"[3].

---

[1] مغني اللبيب ج 2 ص 513

[2] الأعراف الآية 17

[3] التحرير والتنوير ج 8 ص 49

ثانيا: مرادفة الباء،

نحو ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾[1] والظاهر أنها على حقيقتها.

شاهده من سورة الأعراف:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٧﴾[2]

قال ابن عادل في اللباب موردا هذا المعنى لـ"عن"والثاني: أنَّ "عَنْ" بمعنى الباء كما تكون الباء بمعنى عن كقوله ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾[3] لأن حَفِيَ لا يتعدَّى بـ "عن" بل بالباء كقوله ﴿كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[4]. وأشار إلى أنها من قراءات بعض الصحابة مما قد يقوي حجة من يأخذ بمذهب التناوب في الحروف. يقول "وقرأ عبدُ الله[5] (حَفِيٌّ بها) وهي تَدُلُّ لمن ادَّعى أنَّ "عَنْ" بمعنى الباء وحَفِيٌّ فعيل بمعنى: مفعول أي: مَحفُوٌّ. وقيل: بمعنى فاعل، أي كأنك مبالغٌ في السؤال عنها ومتطلع إلى علم مجيئها"[6].

---

(1) النجم الآية 3

(2) الأعراف الآية 187

(3) الفرقان الآية 59

(4) مريم الآية 47

(5) نُسبت هذه القراءة لعبد الله بن مسعود ولعبد الله بن عباس إعراب القراءات الشواذ للعكبري ص 578

(6) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج 9 ص 413

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في توجيه معاني "عن"

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[1]

حاول المفسرون توجيه معنى "عن" الدال على المجاوزة في الآية وتعليله، فمنهم من قارب الدلالة وأجاد في استخراج النكتة من ذلك، ومنهم من أبعد النجعة وجانب الصواب.

فهذا الرازي يلقي بدلوه بتقديم ما يعده فائدة تحصلت بالتعدية بحرف المجاوزة "عن" فيقول "المسألة الثانية: أنه قال: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ فذكر هاتين الجهتين بكلمة ﴿مِّن﴾. ثم قال: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ فذكر هاتين الجهتين بكلمة ﴿وَعَنۡ﴾ ولا بد في هذا الفرق من فائدة. فنقول: إذا قال القائل جلس عن يمينه، معناه أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين غير ملتصق به. قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾[2] فبين أنه حضر على هاتين الجهتين ملكان، ولم يحضر في القدام والخلف ملكان، والشيطان يتباعد عن الملك، فلهذا المعنى خص اليمين والشمال بكلمة (عَنۡ) لأجل أنها تفيد البعد والمباينة"[3].

وعقب الألوسي على كلام الفخر الرازي دون التصريح باسمه فقال "وقيل: خص اليمين والشمال بـ"عن" لأن ثمة ملكين يقتضيان التجاوز عن ذلك وفيه نظر لا يخفى"[4].

وبعيدا عن التعليلات المتكلفة والبعيدة عن جوهر اللغة، يرى الزمخشري أن هذا مما سمع عن العرب محاولا تبيين بلاغة هذا الاستعمال حيث قال "فإن قلت: كيف قيل: ﴿مِّنۢ

---

(1) الأعراف الآية 17

(2) سورة ق الآية 17

(3) تفسير الرازي ج 14 ص 45

(4) روح المعاني للألوسي ج 8 ص 96

بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ بحرف الابتداء ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ بحرف المجاوزة؟ قلت: المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به. فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا، وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس. وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط، فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى (على يمينه) أنه تمكن من جهة اليمين تمكُّن المستعلي من المستعلى عليه. ومعنى (عن يمينه) أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له. ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره[1].

ويعقب أبو حيان على كلام الزمخشري الوارد بخصوص معنى "عن" في الآية مع تقديمه هو أيضا تعليلا لاستعمال حرف المجاوزة في هذين الموضعين فيقول "وهو كلام لا بأس به، وأقول إنما خصّ بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان لأنهما أغلب ما يجيء العدو وبسالته في مواجهة قِرنه غير خائف منه والخلف من جهة غدر ومخاتلة وجهالة القِرن بمن يغتاله ويتطلب غرّته وغفلته، وخصّ الأيمان والشمائل الحرف الذي يدل على المجاوزة لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدوّ وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك وقدمت الأيمان على الشمائل لأنها الجهة التي هي القوية في ملاقاة العدوّ، وبالأيمان البطش والدفع فالقِرن الذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع والشمائل جهة ليست في القوة والدفع كالأيمان[2].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ

---

(1) الكشاف للزمخشري ج 2 ص 430

(2) البحر المحيط لأبي حيان ج 4 ص 278

ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾[1]

جاء فعل "عجل" الذي يتعدى بـ "عن" مضمنا معنى الفعل "سبق" المتعدي بنفسه يقول الزمخشري موضحا معنى الآية "يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تام، ونقيضه: تم عليه وأعجله عنه غيره، ويضمن معنى سبق فيتعدّى تعديته، فيقال عجلت الأمر، والمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به، فبَنَيْتُم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولن أرجع إليكم فحدَّثتم أنفسكم بموتي، فغيّرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم"[2].

والقول بالتضمين هنا أبلغ فإنه "يكشف عن استباق قومه للأحداث وعدم انتظارهم في حفظ عهده وما وصاهم به. ولو كانت الآية - أعجلتم عن أمر ربكم - لانصرف إلى الاستعجال فقط دون الانتكاس الذي وقعوا فيه، وغضب له موسى أشد الغضب....وما حذف الحرف "عن" إلا لغرض مخصوص"[3].

---

(1) الأعراف الآية 150

(2) الكشاف ج 2 ص 511

(3) التضمين النحوي في القرآن الكريم لمحمد نديم فاضل ج2 ص 472

الباب الثالث

حروف الجر الثلاثية

ومعانيها في سورة الأعراف

الفصل الأول

حرف على

1- المبحث الأول: معاني حرف "على" وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني: اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لمعنى "على"

المبحث الأول

معاني حرف "على" وشواهدها من سورة الأعراف

قال ابن هشام "(على) على وجهين: أحدهما: أن تكون حرفا، ولها تسعة معان: وهي الاستعلاء والمصاحبة كـ"مع" والمجاوزة كـ"عن" والتعليل كاللام و الظرفية كـ"في" وموافقة "من" وموافقة الباء وأن تكون زائدة للتعويض وأن تكون للاستدراك والإضراب"[1].

أما عن شواهد هذه المعاني في سورة الأعراف فلم يرد منها ما يشهد لمعنى الظرفية والزائدة ومعنى الاستدراك في حين وردت المعاني الأخر وجاءت كالآتي:

أولا: الاستعلاء:

إما على المجرور وهو الغالب نحو ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[2] أو على ما يقرب منه نحو ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[3] وقد يكون الاستعلاء معنويا نحو ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[5]

---

(1) مغني اللبيب ج 2 ص 372

(2) المومنون الآية 22

(3) طه الآية 10

(4) البقرة الآية 251

(5) الأعراف الأية 51

يقول ابن عاشور عن معنى الحرف "على" وأثره في دلالة الآية "و(على) للاستعلاء المجازي، تدلّ على التمكّن من مجرورها، كما في قوله ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[1].

ومعنى هذا التّمكنِ أن علم الله تعالى ذاتي لا يعزُب عنه شيء من المعلومات"[2].

الثاني: المصاحبة كـ "مع"

نحو ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[3]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[4].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾[5]

اختار الفراء أن تكون "على" في هذا الموضع بمعنى "مع" يقول في معاني القرآن "يقال: "مع رجل"، وهو في الكلام كقولك: جاءنا الخير على وجهك، وهدينا الخير على لسانك، ومع وجهك، يجوزان جميعا"[6].

ويورد السمين وجهين آخرين لتوجيه معنى "على" في الآية و يرجح التوجيه الأخير بتضمين فعل "جاء" معنى "نزل" فيقول و﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ صفةٌ لذِكْر. وقوله " على رجل " يجوز أن يكونَ على حذفِ مضافٍ أي: على لسان رجل. وقيل "على" بمعنى "مع" أي: مع رجل فلا

---

(1) البقرة الآية 4

(2) التحرير والتنوير ج 8 ص 152

(3) البقرة الآية 176

(4) الرعد الآية 7

(5) الأعراف الآية 63

(6) معاني القرآن للفراء ج 1 ص 383

حذف، وقيل: لا حاجة إلى حَذْفٍ ولا إلى تضمينِ حرفٍ لأنَّ المعنى: أُنـزل إلـيكم ذِكْـرٌ علـى رجـل، وهـذا أَوْلَـى، لأن التـضمينَ في الأفعـال أحـسنُ منـه في الحـروف لقوتهـا وضـعف الحروف[1].

الثالث: المجاوزة ك"عن" كقوله:

إذا رضـــيت علـــيَّ بنـــو قـــشير   لعمـــر الله أعجـــبني رضـــاها[2]

أي (عن) ويحتمل أن (رضى) ضمن معنى عطف.

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[3]

اختار صاحب معجم حروف القرآن أن يكـون حـرف "علـى" في هـذا الـشاهد بمعنـى "عن"، غير أن ابن عاشور لم يـصوب القـول بالنيابـة بـين الحـرفين في هـذا الموضـع بـل اختـار التضمين في الفعل ولقد أحسن صنيعا حيث إن الحمل على التضمين كما مر معنا في مبحـث سابق هو قول فقهاء العربية وهو ما يجلي بلاغة ودقة الاستعمال القرآني يقـول في التحريـر " وضمن: ﴿تَقُولُونَ﴾ معنى تكذبون أو معنى تتقوّلون، فلذلك عُدّي بعَلى، وكان حقّـه أن

---

(1) الدر المصون ج 5 ص 357

(2) البيت من الوافر لقحيف بن ضمير العقيلي شاعر إسلامي مقل

(3) الأعراف الآية 28

يعدى بعَنْ لو كان قولاً صحيح النّسبة، وإذ كان التّوبيخ وارداً على أن يقولوا على الله ما لا يعلمون كان القول على الله بما يُتحقّق عدمُ وروده من الله أحرى[1].

وأما "على" التي يصح أن تأتي بمعنى "عن" بحسب ما علل به ابن عاشور وهو صحة نسبة القول، فقد وردت في سورة الأعراف وهي قوله تعالى على لسان كليمه موسى عليه السلام.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾[2]

يقول ابن عاشور عنها "و"على" الأولى للاستعلاء المجازي و"على" الثانية بمعنى عن"[3].

الرابع: التعليل كاللام،

نحو ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[4] أي لهدايته إياكم

شاهده من سورة الأعراف:

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾[5]

جعل صاحب معجم حروف المعاني هذه الآية شاهدا على هذا المعنى، بل وعدَّ كل آية متضمنة لفعل قص والمتعدية بـ "على" مندرجة تحت هذا المعنى مثل ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾. ولم أر من صرح بذلك غير أن الرازي يفسر الآية بمعنى يومئ إلى ذلك

---

[1] التحرير والتنوير ج 8 ص 85

[2] الأعراف الآية 105

[3] التحرير والتنوير ج 9 ص 38

[4] البقرة 184

[5] الأعراف الآية 6

حيث يقول" قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ والمراد أنه تعالى يكرر ويبين للقوم ما أعلنوه وأسروه من أعمالهم، وأن يقص الوجوه التي لأجلها أقدموا على تلك الأعمال[1].

الخامس: موافقة (من)

نحو ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2].

شاهده من سورة الأعراف:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[3]

جعل صاحب معجم حروف المعاني هذه الآية شاهدا على هذا المعنى، ولم أجد من صرح أو أشار إلى ذلك من المفسرين أو أصحاب كتب معاني القرآن وإعرابه.

السادس: موافقة الباء شاهده من سورة الأعراف:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾[4]

---

(1) تفسير الرازي ج 14 ص 25

(2) المطففين الآية 2

(3) الأعراف الآية 169

(4) الأعراف الآية 105

يختلف معنى "على" في هذه الآية تبعا للقراءة القرآنية التي وردت عليها، حيث تكون اللام مرادفة للباء في قراءة الجمهور ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ ولا تكون كذلك في قراءة نافع التي أضاف فيها "على" إلى ياء المتكلم "عليّ". يقول الفراء بعد أن أورد قراءة العامة "ويُقرأ: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾، وفي قراءة عبد الله "حقيق بأن لا أقول على الله" فهذه حجة من قرأ "على" ولم يضف، والعرب تجعل الباء في موضع على، رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنة، وبحال حسنة"[1].

ويورد الأخفش معنى كل قراءة قائلا" وقال ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وقال بعضهم ﴿عَلَىٰ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ والأولى أحسنهما عندنا، أراد: واجبٌ عليَّ أنْ لا أقول. والأخرى: أنا حقيقٌ عَلَى أنْ لا أقول على الله"[2].

قلت: الأسلم ألا نفاضل بين القراءات المتواترة كما ورد في كلام الأخفش، فكل من عند الله تعالى يقول ابن جرير تعليقا على هاتين القراءتين في تفسيره: "والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب في قراءته الصواب"[3].

ويبقى أن نشير إلى احتمال حرف الاستعلاء "على" توجيها آخر وهو الحمل على تضمين كلمة "حقيق" معنى "جدير أو خلق أو حريّ أو حريص أو مكين وكلها معان متقاربة. يقول النحاس "وقرأ أبو جعفر و أبو عمرو وأهل مكة و أهل الكوفة (على ألا) مخففة بمعنى جدير وخلق يقال: فلان خليق بأن يفعل وجدير بأن يفعل وعلى أن يفعل بمعنى واحد"[4].

---

(1) معاني القرآن للفراء ج 1 ص 386

(2) معاني القرآن للأخفش ج 1 ص 334

(3) تفسير الطبري ج 13 ص 14

(4) إعراب القرآن للنحاس ص 316

وقال ابن كثير "فقال بعضهم: معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، أي: جدير بذلك وحري به، .. وقال بعض المفسرين: معناه: حريص على ألا أقول على الله إلا الحق"[1].

وقال ابن عاشور "ومنها ما قيل: ضمن ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى حريص فعُدّي بعلى إشارة إلى ذلك التضمين وأحسن من هذا أن يضمن ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى مكين وتكون (على) استعارة للاستعلاء المجازي"[2].

---

(1) تفسير ابن كثير ج 3 ص 454

(2) التحرير والتنوير ج 9 ص 39

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لمعنى حرف "على"

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾[1]

اختلف المعربون والمفسرون في تعليل النصب في كلمة ﴿صِرَٰطَكَ﴾ ويلخص السمين هذه التوجيهات فيقول: "في نصبه ثلاثة أوجه أحدها: أنه منصوب على إسقاط الخافض. قال الزجاج: "ولا اختلاف بين النحويين أنَّ "على" محذوفة كقولك: "ضُرِب زيدٌ الظهرَ والبطنَ" أي: على الظهر والبطن". إلا أن هذا الذي قاله الزجاج وإن كان ظاهرهُ الإجماع ضعيفٌ من حيث إن حرف الجر لا يَطَّرِدُ حذفه، بل هو مخصوص بالضرورة أو بشذوذ.

والثاني: أنه منصوب على الظرف والتقدير: لأقعدنَّ لهم في صراطك. وهذا أيضاً ضعيف لأن ﴿صِرَٰطَكَ﴾ ظرفُ مكانٍ مختصٌ، والظرف المكاني المختص لا يصل إليه الفعل بنفسه بل بـ"في"، تقول: صليت في المسجد ونمت في السوق. ولا تقول: صَلَّيْتَ المسجد، إلا فيما استثني في كتب النحو، وإنْ ورد غير ذلك كان شاذاً كقولهم "رَجَع أدراجَه" و"ذهبت" مع "الشام" خاصة. أو ضرورة.

وقد شذَّ ابن الطراوة عن مذهب النحاة فجعل "الصراط" و"الطريق" في هذين الموضعين مكانين مُبهمين. وهذا قولٌ مردودٌ لأن المختصَّ من الأمكنة ما له أقطارٌ تحويه وحدودٌ تحصره، والصراط والطريق من هذا القبيل.

والثالث: أنه منصوبٌ على المفعول به لأنَّ الفعلَ قبله وإن كان قاصراً فقد ضُمِّن معنى فعلٍ متعدٍّ. والتقدير: لألزمَنَّ صِراطك المستقيم بقعودي عليه"[2].

---

(1) الأعراف الآية 15

(2) الدر المصون ج 5 ص 266

والظاهر أن السمين يختار الوجه الأخير لكونه سالما من كل اعتراض ويرى أن التضمين وجه قوي لتعليل النصب في كلمة ﴿صِرَٰطَكَ﴾. ويؤيد أبو حيان هذا الاختيار فيقول" الأولى أن يُضمّن ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ معنى ما يتعدّى بنفسه فينتصب الصّراط على أنه مفعول به والتقدير: لألزمنّ بقعودي صراطك المستقيم وهذا الصّراط هو دين الإسلام وهو الموصل إلى الجنة"[1].

و اختار التضمين أيضا ابن القيم حيث يقول "قال جمهور المفسرين والنحاة: حذف "على" فانتصب الفعل، والتقدير: لأقعدن لهم على صراطك، والظاهر أن الفعل مضمر، فإن القاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنه،لأرصدنه، ولأعوجنه، ونحو ذلك"[2].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[3]

اختلف المفسرون تبعا لمشاربهم العقدية حول دلالة حرف الاستعلاء الذي تعدى به الفعل "استوى"، ومرد ذلك عندهم إلى مسألة حقيقة استواء الله على عرشه وكيف يكون؟ وقد عقد الرازي فصلا طويلا للانتصار لمذهبه الأشعري حيث بدأه بنفي حقيقة الاستواء فقال "أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فاعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد منه كونه مستقراً على العرش ويدل على فساده وجوه عقلية، ووجوه نقلية"[4]. ودون الخوض في حجج القوم وردود بعضهم على بعض، نورد هنا ما له علاقة بدلالة حرف الجر "على" الذي

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان ج 4 ص 276

(2) بدائع التفسير لابن القيم ج 1 ص 377

(3) الأعراف الآية 54

(4) تفسير الرازي ج 14 ص 106

يدل أصالة على معنى الاستعلاء لنثبت أهمية الاستفادة من النحو في أبواب الأسماء والصفات.

يقول ابن تيمية منتصرا لعقيدة السلف "ولفظ العلو يتضمن الاستعلاء، وغير ذلك من الأفعال إذا عدي بحرف الاستعلاء دل على العلو، كقوله ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[1] فهو يدل على علوه على العرش. والسلف فسروا (الاستواء) بما يتضمن الارتفاع فوق العرش، كما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قال: ارتفع... وقال البخاري: وقال مجاهد في قوله ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ علا على العرش"[2].

ويزيد ابن عثيمين الأمر بيانا وتوضيحا فيقول "وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ولا يماثل استواء المخلوقين. فإن سألت ما معنى الاستواء عندهم؟ فمعناه العلو والاستقرار. وقد ورد عن السلف في تفسيره أربعة معاني: الأول: علا، والثاني: ارتفع والثالث: صعد والرابع: استقر.. ودليلهم في ذلك: أنها في جميع مواردها في اللغة العربية لم تأت إلا لهذا المعنى إذا كانت متعدية بـ"على"[3].

---

(1) الحديد الآية 4

(2) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج 16 ص 204

(3) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج 1 ص 375

الفصل الثاني

حرف إلى

1- المبحث الأول: معاني حرف "إلى" وشواهدها من سورة الأعراف

2- المبحث الثاني : اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لحرف "إلى"

أ- المطلب الأول: متعلق حرف "إلى"

ب- المطلب الثاني: معنى حرف "إلى"

المبحث الأول

معاني حرف "إلى" وشواهدها من سورة الأعراف

قال ابن هشام في المغني "(إلى) حرف جر، له ثمانية معان: وهي: انتهاء الغاية والمعية والتبيين ومرادفة اللام وموافقة "في" والابتداء و موافقة "عند" والتوكيد"[1]، ولم يرد في سورة الأعراف إلا معنيان وهما انتهاء الغاية ومرادفة اللام.

الأول: انتهاء الغاية الزمانية،

نحو ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[2] والمكانية نحو ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[3] وإذا دلت قرينة على دخول ما بعدها نحو (قرأت القرآن من أوله إلى آخره) أو خروجه نحو ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ ونحو ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[4] عمل بها، وإلا فقيل: يدخل إن كان من الجنس، وقيل: يدخل مطلقا، وقيل: لا يدخل مطلقا، وهو الصحيح، لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول، فيجب الحمل عليه عند التردد.

شاهده من سورة الأعراف:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[5]

---

(1) مغني اللبيب لابن هشام ج 1 ص 489

(2) البقرة الآية 186

(3) الإسراء الآية 1

(4) البقرة الآية 279

(5) الأعراف الآية 167

يبين ابن عاشور معنى الآية وذلك اعتمادا على دلالة حرف الجر إلىٰ المفيد لانتهاء الغاية فيقول قوله ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ غاية لما في القَسم من معنى الاستقبال، وهي غاية مقصود منها جعل أزمنة المستقبل كله ظرفاً للبعث، لإخراج ما بعد الغاية. وهذا الاستغراق لأزمنة البعث أي أن الله يسلط عليهم ذلك في خلال المستقبل كله[1].

وقال الألوسي قوله ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي إلى انتهاء الدنيا وهو متعلق بيبعث، وقيل: بتأذن[2] وليس بالوجه ولا يصح كما لا يخفى تعلقه بالصلة في قوله سبحانه: ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾ أي يذيقهم ويوليهم[3].

الثاني: مرادفة اللام:

نحو ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾[4] وقيل: لانتهاء الغاية، أي منته إليك، ويقولون (أحمد إليك الله سبحانه) أي أنهى حمده إليك.

ولم أقف لهذا المعنى على شاهد في سورة الأعراف. غير أن صاحب معجم حروف المعاني عدّ هذه الآية شاهدا على موافقة إلىٰ للام، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[5]

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور ج 9 ص 155

(2) نقل هذا التوجيه العكبري و لم يختره يقول 'إلى يوم القيامة' يتعلق بتأذن أو بيبعث وهو الأوجه, ولا يتعلق بـ 'يسومهم' لأن الصفة أو الصلة لا تعمل فيما قبلها' التبيان في إعراب القرآن للعكبري ص 288

(3) روح المعاني للألوسي ج 9 ص 94

(4) النمل الآية 34

(5) الأعراف الآية 164

ولم أجد من قال بذلك من المعربين والمفسرين بل إن فعل "اعتذر" يتعدى بـ "إلى"، وليس باللام وهو يضمن معنى إضافيا تجلبه الدلالة الأصلية لهذا الحرف وهي انتهاء الغاية يقول الألوسي "والمعذرة في الأصل بمعنى العذر وهو التنصل من الذنب، وقال الأزهري: إنه بمعنى الاعتذار، وعداه بـ "إلى" لتضمنه معنى الإنهاء والإبلاغ"[1].

---

(1) روح المعاني للألوسي ج 9 ص 91

المبحث الثاني

اختلاف المفسرين في التوجيه الإعرابي لمعنى حرف "إلى"

أ- المطلب الأول: متعلق حرف "إلى"

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾[1]

اختلف المفسرون في متعلق حرف الجر "إلى" من قوله تعالى ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ وقالوا: فيه وجهان:

- الأول وهو المشهور: أنه متعلق بالفعل "كشفنا" وبذلك صرح السمين[2] إذ يقول "أنه متعلق بـ ﴿كَشَفْنَا﴾ وهذا هو المشهور عند المعربين" وصححه الألوسي فقال "والمراد أنجيناهم من العذاب إلى ذلك الوقت، ومن هنا صح تعلق الغاية بالكشف"[3]، واختاره ابن عاشور حيث قال "وقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ متعلق بـ ﴿كَشَفْنَا﴾ باعتبار كون كشف الرجز إزالة للموتان الذي سببه الطاعون، فإزالة الموتان مغياة إلى أجل هم بالغون إليه وهو الأجل الذي قدره الله لهلاكهم فالغاية منظور فيها إلى فعل الكشف لا إلى مفعوله"[4]، ودليل المفسرين المعتمد في جعلهم ﴿كَشَفْنَا﴾ هو المتعلق به، سلامة المعنى وصحته، حيث لم يسلم اختيارهم من النقد من جهة الصناعة النحوية ذلك أن أبا حيان أورد على هذا التوجيه إشكالا فقال "ولا يمكن حمله على التعلق به لأن ما دخلت عليه "لمّا" ترتب جوابه على ابتداء وقوعه والغاية تنافي التعليق على ابتداء الوقوع فلا بدّ من تعقل الابتداء والاستمرار

---

(1) الأعراف الآية 134

(2) الدر المصون ج 5 ص 435

(3) روح المعاني ج 9 ص 36

(4) التحرير والتنوير ج 9 ص 73

حتى تتحقق الغاية ولذلك لا تصحّ الغاية في الفعل غير المتطاول لا تقول: (لما قتلت زيداً إلى يوم الخميس جرى كذا) ولا: (لما وثبت إلى يوم الجمعة اتفق كذا)"[1].

لكن السمين الحلبي وبعد أن أورد استشكال أبي حيان وحسنه استطاع التوفيق والجمع بين ما تقتضيه القواعد النحوية وسلامة المعنى فقال "وقد يُجاب عنه بأنَّ المرادَ بالأجَل هنا وقتُ إيمانهم وإرسالِهم بني إسرائيل معه، ويكون المرادُ بالكشفِ استمرارَ رَفْعِ الرجز، كأنه قيل: فلمَّا تمادَى كشَفْنا عنهم إلى أجَل"[2].

أما الوجه الثاني للمتعلق به فهو: ما رجحه أبو حيان حيث قال "وجعل بعضهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ من تمام الرِّجز أي الرِّجز كائناً إلى أجل، والمعنى أنّ العذاب كان مؤجلاً، ويقوي هذا التأويل كون جواب لمَّا جاء بإذا الفجائية أي فلما كشفنا عنهم العذاب المقرر عليهم إلى أجل فاجؤوا بالنكث، وعلى معنى تغييته الكشف بالأجل المبلوغ لا تتأتى المفاجأة إلا على تأويل الكشف بالاستمرار المغيا، فتكون المفاجأة بالنكث إذ ذاك ممكنة"[3].

ولم يرتض الألوسي هذا التوجيه الذي اختاره أبو حيان فقال "(ولا حاجة إلى جعل الجار والمجرور متعلقاً بمحذوف وقع حالاً من الرجز خلافاً لزاعمه)"[4].

ب- المطلب الثاني: معنى حرف "إلى"

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[5]

---

(1) البحر المحيط ج 4 ص 374

(2) الدر المصون ج 5 ص 435

(3) البحر المحيط ج 4 ص 374

(4) روح المعاني ج 9 ص 36

(5) الأعراف الآية 1

حاول الرازي من خلال هذه الآية تقرير عقيدته في نفي العلو الذاتي لله تعالى وأنه فوق سمواته على عرشه جل جلاله وذلك على غرار ما رأينا في مبحث "على"، حيث قام هاهنا بالرد على من احتج بدلالة حرفي "من" و"إلى" التي تستلزمان القول بالفوقية[1].

ولجأ إلى التأويل لصرف الآية عن ظاهرها، فقال "المسألة الثالثة: الذين أثبتوا لله مكاناً، تمسكوا بهذه الآية فقالوا: إنّ كلمة (من) لابتداء الغاية. وكلمة (إلى) لانتهاء الغاية. فقوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يقتضي حُصول مَسافة مبدؤها هو الله تعالى وغايتها محمد، وذلك يدل على أنه - تعالى- مختص بجهة فوق، لأن النزول هو الانتقال من فوق إلى أسفل. وجوابه: لما ثبت بالدلائل القاهرة أن المكان والجِهة على الله تعالى محال وجب حمله على التأويل الذي ذكرناه، وهو أن الملك انتقل به من العلو إلى أسفل[2].

وقد شاع عند الخلف واشتهر أن كل من يثبت الفوقية لله تعالى أنه ينسب لله الجهة والمكان ومن ثمة فهو مشبه[3].

ولإزالة الشبهة عن ذلك نورد كلاما لابن تيمية عن لفظ الجهة يقول فيه "فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقا قُبِل وإن أراد باطلا رُدّ...، قال: فيقال لمن نفى الجهة أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا فى المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات، وكذلك يقال لمن قال: الله فى جهة أتريد بذلك أن الله فوق العالم أو

---

(1) يمثل الرازي مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري, فهذا الإمام الشافعي الأشعري ترك مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية "منقول من كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود" ص 654.

(2) تفسير الرازي ج 14 ص 18

(3) يقول الرازي مثلا عند تفسيره للآية 55 من آل عمران ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: والمشبهة يتمسكون بهذه الآية في إثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء، وقد دللنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على أنه يمتنع كونه تعالى في المكان فوجب حمل اللفظ على التأويل، وهو من وجوه... ج 8 ص 76

تريد به أن الله داخل فى شىء من المخلوقات، فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثانى فهو باطل.... فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه[1].

وإذا عرف الجواب عن الشبهة السابقة "الجهة"، سهل فهم الجواب عن الشبهة الثانية "المكان" فلا داعي للتفصيل فيها.

وعلو الله عند أهل السنة والجماعة حقيقي وهو "ينقسم إلى قسمين: علو معنوي، علو ذاتي فأما العلو المعنوي، فهو ثابت لله بإجماع أهل القبلة...

وأما العلو الذاتي: فيثبته أهل السنة، ولايثبته أهل البدعة، يقولون: إن الله تعالى ليس عاليا علوا ذاتيا[2].

(1) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج 3 ص 28

(2) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج 1 ص 387

الخاتمة

جاء هذا البحث نتيجة دراسة تطبيقية استقصت حروف الجر في سورة الأعراف وفق الضوابط النحوية المسطرة في كتب النحاة، وبقراءة ما يمكن أن يسمح به الوقت في أهم كتب التفسير. وقد تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وفي خاتمة هذه الرحلة الشائقة في رحاب كتب النحو والتفسير، أذكر النتائج التي توصلت إليها وقد قسمتها إلى نتائج عامة وخاصة وهي على النحو الآتي:

1- النتائج العامة

أولا: أثبت البحث أهمية اللغة العربية في فهم النصوص الشرعية؛ لكونها مقوما ضروريا للكشف عن معاني آيات القرآن ومقاصدها وأحكامها.

ثانيا: أسهمت الدراسة في إبطال حملة التهجم على النحو العربي بدعوى أنه قواعد لفظية مجردة عن مراعاة النواحي المعنوية

ثالثا: تبيَّن في هذا البحث مدى عناية المفسرين بحروف المعاني (وحروف الجر خاصة) من حيث تطرقهم لدلالاتها في سياقها داخل الآية، ومساهمتهم في خدمة اللغة العربية وتجلية أسرارها الرفيعة.

2- النتائج الخاصة:

أولا: بيَّنت الدراسة أثر حروف الجر في بلاغة القرآن وبديع نظمه، كما جلَّت ما احتوت عليه التفاسير من درر المعاني وغامضها ولطيفها.

ثانيا: أبرز البحث أن الدقة في تحديد متعلق الجار والمجرور تكتسي أهمية كبرى في الكشف عن العلاقة بين أجزاء الآيات القرآنية والجملة العربية عموما سواء من الناحية اللفظية أو المعنوية.

ثالثا: أثبتت الدراسة أن تنوع دلالات حروف الجر من أسباب اختلاف المفسرين، سواء ما يمكن أي يدرج في اختلاف التنوع، وهو مقبول وسائغ أم في اختلاف التضاد وهو مذموم ومرفوض كالتنازع في أصول الدين مثلا.

رابعا: توصل البحث إلى تحديد بعض أسباب الاختلاف بين المفسرين ومنها:

- احتمال الحرف الوارد في الآية وجوها كثيرة لا مرجح لأحدها على الآخر فتُحمل على تلك الأوجه أو بعضها.
- تأثير الانتماء المذهبي في آراء المفسرين وترجيحاتهم للآيات المختلف فيها، وهذا ما بدا واضحا عند اختيارهم لوجه نحوي في ضوء ما ارتسم من أصولهم العقدية أو المذهبية أومدارسهم النحوية.

خامسا: ومن نتائج البحث أيضا معرفة بعض ضوابط الترجيح عند المفسرين ومنها:

- ✓ موافقة النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة.
- ✓ الانتصار للمذهب العقدي الذي عليه المفسر.
- ✓ موافقة بعض القراءات، وإن كانت شاذة.
- ✓ موافقة أهل اللغة فيما وضعوه من أصول كلام العرب.
- ✓ التقيد بالقواعد النحوية التي يسير على وفقها المفسر.
- ✓ تبني القول بالتضمين أو النيابة في الحروف.

وختاما أقول إن تناول التفسير بالتركيز على أثر معاني الحروف في الدلالات هي طريقة مفيدة يمكن أن تضاف إلى طرق التفسير المعهودة، وهو فرع من علوم القرآن لم ينل حظه من الدراسة الكافية وهو كما قال محمود شاكر "وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم"[1].

لذا توصي الدراسة بتعميق البحث التطبيقي في هذا المجال، والاشتغال على الحروف بمختلف أصنافها وأقسامها.

---

(1) محمود شاكر في تقديمه لكتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم لعبد الخالق عضيمة ج 1 ص د.

كما توصي بربط علوم العربية بنصوص الوحيين: الكتاب والسنة؛ خدمة لهذين الأصلين العظيمين، وتحقيقا لمشروع علم اللغة التطبيقي، وعدم الاقتصار على الدراسات اللغوية والنحوية التقعيدية بجزئياتها وخلافاتها.

والله تعالى أسال التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص

(أ)

2- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي, تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، بدون ط. ولا ت.

3- أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية والنحوية في الكشاف (ماجستير): مهند الجبالي، جامعة اليرموك، كلية الآداب إربد، الأردن، 2001م.

4- الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم: محمد السيف، الدار التدمرية، الرياض، السعودية، ط3، 1430 هـ/ 2009م.

5- أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن العربي، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1423هـ/ 2003م.

6- الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة (دراسة تحليلية نقدية): دليلة مزوز، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 1432هـ/ 2011م.

7- الإرشاد إلى علم الإعراب: محمد القرشي الكيشي، تحقيق عبد الله البركاتي, جامعة أم القرى الطبعة 1، 1410هـ.

8- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، السعودية.

9- ارتشاف الضرب في لسان العرب: أبو حيان التوحيدي، تحقيق رجب محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1418.

10- أسرار العربية: عبد الرحمن الأنباري، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418-1996.

11- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

12- الأصول في النحو: محمد بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت، ط3، 1417هـ/ 1996م.

13- إعراب القراءات الشواذ: أبو البقاء العكبري، تحقيق، محمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م.

14- إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، اعتنى به، خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1429هـ/ 2008م.

15- ألفية ابن مالك: محمد بن مالك، مراجعة، حسين بركات، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.

16- الإيضاح: أبو علي الفارسي، تحقيق كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1416هـ.

17- الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة 3، 1399هـ.

18- الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: تمام حسان عالم الكتب، القاهرة 1420هـ/ 2000م.

19- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ط3، دار الجيل، بيروت.

(ب)

20- بحر العلوم: أبو الليث نصر السمرقندي، تحقيق، علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م.

21- البحر المحيط: يوسف أبو حيان الأندلسي: تحقيق، عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/ 1993م.

22- بدائع التفسير: ابن قيم الجوزية، جمعه وخرج أحاديثه، يسري محمد، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط1، 1427هـ.

23- بدائع الفوائد: أبو بكر محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد العمران، دار عالم الفوائد، جدة، السعودية، بدون ط، ولا ت.

24- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 1404هـ/ 1984م.

25- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1399/ 1979.

26- البيان في روائع القرآن: تمام حسان ط1، عالم الكتب القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

(ت)

27- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله العكبري، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.

28- التضمين النحوي في القرآن الكريم: محمد فاضل، دار الزمان، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1426هـ/ 2005هـ.

29- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية. تونس 1984م.

30- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق، سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ/ 1999م.

31- التوجيه النحوي وأثره في دلالة الحديث النبوي الشريف (دراسة في الصحيحين): نشأت عبد الرحمن. المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1432هـ/ 2011م.

32- التعريفات، علي الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء،ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1403هـ/ 1983م.

(ج)

33- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: محمد القرطبي، تحقيق، عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ/ 2006م.

34- جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق، محمود شاكر و أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2، بلا ت.
35- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسين المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة, دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ.

(ح)

36- حاشية أحمد بن حمدون على شرح المكودي لألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت 1428هـ/ 2008م.
37- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: محمد بن علي الصبان، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.
38- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين الهرري، مراجعة.هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2001م.
39- حروف الجر وأثرها في الدلالات: محمد طيب فانكا الناغوري، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،ليبيا، الطبعة الأولى 2002م.
40- حروف الهجاء: علي المزني، تحقيق أشرف القصاص، دار ابن حزم، القاهرة، 1431هـ/ 2010م.
41- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: عبد الله البطليوسي، تحقيق سعيد سعودي،، دار الرشيد للنشر . بغداد، ط1، 1980م.

(خ)

42- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بلا ط ولا ت.
43- الخلاف النحوي في الأدوات: عامر بلحاف، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطبعة الأولى 1432هـ.

(د)

44- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة , دار الحديث القاهرة، د. ط، ولا ت.

45- دراسات في اللغة: إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، 1961م.

46- الدرة الألفية: يحيى بن عبد المعطي، ضبطها سليمان البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة، 2010.

47- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد السمين الحلبي، تحقيق، أحمد الخراط. دار القلم، دمشق.

48- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني بجدة، الطبعة 3، 1413هـ.

49- دور الحرف في أداء معنى الجملة: الصادق حليفة راشد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1996.

(ر)

50- الرد على المنطقيين: أحمد ابن تيمية، تحقيق عبد الصمد الكتبي، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى 1426هـ.

51- الرد على النحاة: أحمد ابن مضاء القرطبي، تحقيق محمد البنا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة 1، 1399هـ.

52- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد المالقي، تحقيق أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ط3، 1423هـ/ 2002م.

53- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: محمود الألوسي، عنيت بنشره وتصحيحه، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ط ولا ت.

(س)

54- سر صناعة الإعراب: عثمان بن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، 1413هـ.

(ش)

55- شرح التسهيل: محمد بن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، دار هجر، القاهرة، ط1، 1410هـ.

56- شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م.

57- شرح الحدود النحوية: عبد الله الفاكهي، محمد الطيب إبراهيم، دار النفائس، بيروت. ط1، 1417هـ.

58- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد الأستراباذي، تصحيح يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996.

59- شرح قطر الندى: جمال الدين ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1414هـ.

60- شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق، جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 8، 1404هـ/ 1984م.

61- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية: محمد العثيمين، اعتنى به، سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط6، 1421هـ.

62- شرح عوامل الجرجاني المائة: خالد الأزهري، تحقيق البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط 2.

63- شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد الحسن السيرافي، تحقيق، أحمد حسن مهدلي و علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م.

64- شرح اللمحة البدرية: جمال الدين بن هشام، تحقيق، هادي نهر، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2007م

65- شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن يعيش، عنيت بطبعه إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة. مصر، بدون ط، ولا ت.

66- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي. الدمام، السعودية ط 2، 1428هـ.

67- شرح المقدمة المحسبة: طاهر بن بابشاذ، تحقيق، خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت ط1، 1977م.

(ص)

68- الصاحبي في فقه اللغة: أبو الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.

(ع)

69- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: محمد الأمين الشنقيطي، تعليق، خالد السبت، دار ابن قيم، الدمام، السعودية، ط1. 1424هـ/ 2003م.

70- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها، البدراوي زهران، ط1 دار العالم العربي القاهرة 2009م.

(ف)

71- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد الشوكاني, تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1428هـ/ 2007م.

72- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تحقيق،محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة مصر، بدون ط و لا ت.

(ق)

73- القاموس المحيط: مجد الدين محمد الفيروز آبادي، تحقيق، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ/ 2005م.

(ك)

74- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ.

75- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود الزمخشري، تحقيق، عادل عبد الموجود و آخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ/ 1998م.

76- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء الكفوي،تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

(ل)

77- اللامات: عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، ط 1، 1980م.

78- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن عادل، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

79- لسان العرب: أبو الفضل محمد بن منظور، تحقيق نخبة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة.

80- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط6، 1430هـ.

81- اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 1988م.

(م)

82- مجموعة الفتاوى: أبو العباس أحمد ابن تيمية، تحقيق عامر النجار وأنور الباز، دار الوفاء وابن حزم، مصر، ط2. 1998م

83- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق، عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1422هـ/ 2001م.

84- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي، تحقيق، سيد زكريا، دار نزار مصطفى الباز.

85- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: مهدي مخزومي، مكتبة مصطفى البابي، مصر. ط2، 1377هـ.

86- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 1424هـ/ 2003م.

87- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م.

88- معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش. تحقيق، هدى قراعة، مكتبة الخانجي، ط1، 1411هـ/ 1990م.

89- معالم التنزيل: أبو محمد الحسين البغوي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1423هـ/ 2002م.

90- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية: (مجموعة من الأساتذة)، المكتبة اللإسلامية، اسطانبول، تركيا.

91- معجم حروف المعاني في القرآن: محمد حسين الشريف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ.

92- المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل: عبد العزيز عبده، منشورات الكتاب، طرابلس، ليبيا، ط1، 1391هـ.

93- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق، عبد اللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1421هـ/ 2000م.

94- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م
95- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق، عبد الرحمن العثيمين، جامعة أم القرى، ط1، 1428هـ.
96- المقتضب: أبو العباس محمد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. لجنة إحياء التراث، القاهرة. ط 3، 1415هـ.
97- مقاييس اللغة: أحمد ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.
98- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1409 هـ/ 1989م.
99- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ضمن (شروح التلخيص): ابن يعقوب (المغربي) دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت
100-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ط1،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.
101-مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط4، دار القلم، دمشق، 1430هـ.

(ن)

102-النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة 3.
103-نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً: هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، ط1، 1406 هـ/ 1986م.

هـ

104-همع الهوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

لا يخفى أن معرفة معاني الحـروف جزء أساس في علم النحو، وهي من صلبه وصميمه، فكانت من ثمة ضرورية لكل متعرض لفهم كتاب الله تفسيرا وإعرابا وكشفا لوجوه البلاغة والبيان، قال الزركشي " والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها " البرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ١٧٥

وقد أدرك الإمام عبد القاهر بذائقته الفذة أهمية حروف المعاني في النظم المعجز، وما أشاعته من مزية على السياق القرآني، وهذا جليٌّ من خلال تحليلاته التي أبان فيها عن قيمتها الفنية وأثرها في المعنى، ولفت انتباهنا إلى أنه يجب إدراك الفروق الدقيقة حين يتعدى الفعل بإحدى حروف الجر؛ بحيث يكون له معنى مغاير مع كل منها، ومن ذلك قوله في دلائله "وينظر في "الحروف" التي تَشْتَرِكُ في معنًى، ثم يَنفردُ كلُّ واحدٍ منها بخصوصيةٍ في ذلك المعنى، فيضع كلًا من ذلك ي خاصِّ معناهُ...فيصيب بكل من ذلك مكانَه، ويستعملَه على الصِّحة وعَلى ما ينبغي له." الدلائل، ص ٨٢ .

غير أن الناظر في كتب التفسير يجد توجيه معاني الحروف متعددا بين مفسر وآخر، مما أدى إلى الاختلاف في كثير من الآيات القـرآنية. فكان الوقـوف على هذه التوجيهات ومعرفة التعليلات التي قدمها المعربون والقرائن التي سيقت لتلك الأوجه، دافعا للولوج إلى كتب التفسير ، لتلمس مقدار استفادة المفسرين من علم النحو ولبيان الأثر المترتب على تعدد معاني حروف الجر عند احتمال الآية لأكثر من معنى، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات، وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم كما قال محمود شاكر مقدمة "دراسات لأسلوب القرآن الكريم لعضيمة"

فجاء هذا الكتاب لتحقيق هذه الأهداف وغيرها، علما أن الكتب التي تفردت بالبحث في دراسة حروف المعاني هي محض دراسات نحوية، لا تكشف عن أسرار هذه المعاني في مواقعها من سياقها القرآني، ولا تبحث عن الدواعي التي من أجلها تفارق مواضعها.

